

الباب الثاني
الخسران
في ضوء القرآن الكريم

obeikandi.com

المبحث الأول

مقدمات للموضوع

المطلب الأول

تعريف الخسران في اللغة والاصطلاح

تعريف الخسران في اللغة :

خسر: خسر خسرا :ترك مصدرين خسرا بضم فسكون وخسرا بضمميتين كما في القاموس وخسرا وخسرانا وخسارة وخساراً فهو خاسر وخسر كله ضل والخسار والخسارة والخيسرى الضلال والهلاك^(١).

الخسر والخسران : انتقاص رأس المال ، وينسب ذلك إلى الإنسان ، فيقال : خسر فلان ، وإلى الفعل فيقال : خسرت تجارتك ، ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر ، وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب وهو الذي جعله الله هو الخسران المبين ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ ﴿٥﴾ [الرحمن] ، إشارة إلى تحرى العدالة في الوزن ، وترك الحيف فيما يتعاطاه في الوزن ، ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى تعاطى مالا يكون به ميزانه في القيامة خاسرا ، وكلا المعنيين يتلازمان وكل خسران ذكره الله تعالى في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير^(٢).

(١) لسان العرب : ٤ / ٢٣٨ .

(٢) مفردات الراغب : ٢٨٢ .

تعريف الخسران في الاصطلاح :

قال القفال - رحمه الله : الخاسر : اسم عام يقع على كل من عمل عملاً لا يجزى عليه ^(١).

وقال ابن جرير - رحمه الله - الخاسرون : جمع خاسر، وهم الناقصون أنفسهم وحظوظهم بمعصيتهم الله من رحمته، كما يخسر الرجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله في بيعه، وكذلك الكافر والمنافق خسر بحرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كانوا إلى رحمته ^(٢).

من معاني الخسران كما وردت في الاستعمال القرآني :

١- الخسران والخسر: النقص ^(٣). ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبُوا الْمِيْزَانَ ﴿١﴾ ﴾ [الرحمن] ، أي: ولا تنقصوا الميزان ^(٤)، وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج] أي النقصان المبين ^(٥). واحتمل البعض أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبُوا الْمِيْزَانَ ﴿١﴾ ﴾ [الرحمن] إشارة إلى تحرى العدالة في الوزن، أو إشارة إلى تعاطى ما لا يكون به ميزان المرء في القيامة خاسراً ^(٦). فيكون معنى الآية: لا تخسروا الثواب الموزون يوم القيامة ^(٧).

٢- الخسران والخسر: الضلال ^(٨). ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا

(١) تفسير الرازي: ١/ ٤٢٦.

(٢) ابن كثير: ١/ ٢١١.

(٣) لسان العرب لابن منظور: ٤/ ٩٠ «خسر»، المفردات للراغب الأصفهاني: ١٤٧.

(٤) قاموس القرآن للدماغاني: ١٥٧.

(٥) مجمع البحرين للطريحي: ١/ ٥١١.

(٦) المفردات: ١٤٨.

(٧) مجمع البحرين: ٥١١.

(٨) قاموس القرآن: ١٥٧.

الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم ٦١
مُيِّنًا ﴿١٥٧﴾ [النساء] وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفَىٰ خُسْرٍ﴾ [العصر] يعني: لفي ضلال.

٣- الخسران: الغبن، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ١٥] ، يعني: غبنوا أنفسهم فصاروا إلى النار، وغبنوا أهلهم في الجنة - يعني الأزواج والخدم - فصاروا غيرهم^(١).

٤- الخسران: الإهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة] ، أى: أهلكوا أنفسهم، فهم بمنزلة من هلك رأس ماله^(٢).

٥- العقوبة: منه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف] ، وقوله تعالى: ﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود] .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما: كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل خاسر، فإنما يعني به الكفر، وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذنب^(٣).

(١) قاموس القرآن: ١٥٧.

(٢) تفسير مجمع البيان، للطبري: ١/١٦٨.

(٣) تفسير الطبري: ١/٤١٧ ، وهى كلية من الكلبيات التفسيرية المطردة.

obeikandi.com

المطلب الثاني

الخسران المبين

قال الرازي - رحمه الله : فلنبين كون الخسران خسرانا مبينا ، وأقول: نفتقر إلى بيان أمرين إلى أن يكون خسرانا ثم كونه مبينا :

أما الأول : فتقريره أنه تعالى أعطى هذه الحياة وأعطى العقل ، وأعطى المكنة وكل ذلك رأس المال ، أما هذه الحياة فالمقصود منها أن يكتسب فيها الحياة الطيبة في الآخرة.

وأما العقل فإنه عبارة عن العلوم البديهية وهذه العلوم هي رأس المال والنظر ، والفكر لا معنى له إلا ترتيب علوم ليتوصل بذلك الترتيب إلى تحصيل علوم كسبية ، فتلك العلوم البديهية المسماة بالعقل رأس المال وتركيبها على الوجوه المخصوصة يشبه تصرف التاجر في رأس المال وتركيبها على الوجوه بالبيع والشراء ، وحصول العلم بالنتيجة يشبه حصول الربح ، وأيضا حصول القدرة على الأعمال يشبه رأس المال ، واستعمال تلك القوة في تحصيل أعمال البر والخير يشبه تصرف التاجر في رأس المال ، وحصول أعمال الخير والبر يشبه الربح ، إذا ثبت هذا فنقول : إن من أعطاه الله الحياة والعقل والتمكن ، ثم إنه لم يستفد منها لا معرفة الحق ولا عمل الخير ألبتة كان محروما عن الربح بالكلية ، وإذا مات فقد ضاع رأس المال بالكلية فكان ذلك خسرانا، فهذا بيان كونه خسرانا .

وأما الثاني : وهو بيان كون ذلك الخسران مبينا فهو أن من لم يربح الزيادة ولكنه مع ذلك سلم من الآفات والمضار ، فهذا كما لم يحصل له مزيد نفع لم

٦٤ الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم
يحصل له أيضا مزيد ضرر ، أما هؤلاء الكفار فقد استعملوا عقولهم التي هي رأس مالمهم في استخراج وجوه الشبهات وتقوية الجهالات والضلالات ، واستعملوا قواهم وقدرهم في أفعال الشر والباطل والفساد ، فهم قد جمعوا بين أمور في غاية الرداءة:

أولها : أنهم أتعبوا أبدانهم وعقولهم طلبا في تلك العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة.

وثانيها : أنهم عند الموت يضيع عنهم رأس المال من غير فائدة .

وثالثها : أن تلك المتاعب الشديدة التي كانت موجودة في الدنيا في نصرة تلك الضلالات تصير أسبابا للعقوبة الشديدة والبلاء العظيم بعد الموت ، وعند الوقوف على هذه المعاني يظهر أنه لا يعقل خسران أقوى من خسراهم ، ولا حرمان أعظم من حرمانهم ، ونعوذ بالله منه^(١).

المطلب الثالث

الخسران في الاستعمال القرآني

٧	خسر
٨	خسروا
١	يخسر
١	تخسروا
١	يخسرون
١	خسر
١	خسرا
١٤	خاسرون
١٨	خاسرين
١	خاسرة
٣	خسارا
٢	الخسران

١	خُسْرَانَا
٢	الْأَخْسَرُونَ
٢	الْأَخْسَرِينَ
١	تَخْسِير
١	المُخْسِرِينَ
٦٥	جملة

خَيْرَ فِي الاستعمال القرآني

نص الآية	السورة	رقمها	ك/م	الآية
﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾	النساء	٤	م	١١٩
﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾	الأنعام	٦	ك	٣١
﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	الأنعام	٦	ك	١٤٠
﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾	يونس	١٠	ك	٤٥
﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبْ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾	الحج	٢٢	م	١١

نص الآية	السورة	رقمها	ك/م	الآية
﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾	غافر	٤٠	ك	٧٨
﴿ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾	غافر	٤٠	ك	٨٥
﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	الأنعام	٦	ك	١٢
﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	الأنعام	٦	ك	٢٠
﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾	الأعراف	٧	ك	٩
﴿ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴾	الأعراف	٧	ك	٥٣
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴾	هود	١١	ك	٢١
﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾	المؤمنون	٢٣	ك	١٠٣
﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	الزمر	٣٩	ك	١٥

نص الآية	السورة	رقمها	ك/م	الآية
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِيرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾	الشورى	٤٢	ك	٤٥
﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِ خَسِرَ الْمُبْطِلُونَ ﴾	الجاثية	٤٥	ك	٢٧
﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾	الرحمن	٥٥	م	٩
﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾	المطففين	٨٣	ك	٣
﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴾	العصر	١٠٣	ك	٢
﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَنَقِبَةَ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾	الطلاق	٦٥	م	٩
﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِيرُونَ ﴾	البقرة	٢	م	٢٧
﴿ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِيرُونَ ﴾	البقرة	٢	م	١٢١
﴿ لَيْلٍ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِذْ كَفَرَ إِذَا الْخَسِيرُونَ ﴾	الأعراف	٧	ك	٩٠
﴿ أَقَامِنَا مَكْرَ اللَّهِ ۗ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَسِيرُونَ ﴾	الأعراف	٧	ك	٩٩

نص الآية	السورة	رقمها	ك/م	الآية
﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾	الأعراف	٧	ك	١٧٨
﴿ قَبِرْكُمْهُرْ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُرْ فِي جَهَنَّمَ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾	الأنفال	٨	م	٣٧
﴿ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؕ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾	التوبة	٩	م	٦٩
﴿ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الدِّثْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخٰسِرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾	يوسف	١٢	ك	١٤
﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾	النحل	١٦	ك	١٠٩
﴿ وَلَٰئِنِ اطَّعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخٰسِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	المؤمنون	٢٣	ك	٣٤
﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾	العنكبوت	٢٩	ك	٥٢
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾	الزمر	٣٩	ك	٦٣
﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطٰنِ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾	المجادلة	٥٨	م	١٩
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾	المنافقون	٦٣	م	٩

نص الآية	السورة	رقمها	ك/م	الآية
﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ ﴿٦٤﴾	البقرة	٢	م	٦٤
﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾	آل عمران	٣	م	٨٥
﴿ إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَسِيرِينَ ﴾ ﴿١٤٩﴾	آل عمران	٣	م	١٤٩
﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ ﴿٥٠﴾	المائدة	٥	م	٥
﴿ وَلَا تَزِدُوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَسِيرِينَ ﴾ ﴿٥١﴾	المائدة	٥	م	٢١
﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ ﴿٥٢﴾	المائدة	٥	م	٣٠
﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْحُوا خَسِيرِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾	المائدة	٥	م	٥٣
﴿ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾	الأعراف	٧	ك	٢٣
﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَسِيرِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾	الأعراف	٧	ك	٩٢
﴿ لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾	الأعراف	٧	ك	١٤٩

نص الآية	السورة	رقمها	ك/م	الآية
﴿الْخَسِرِينَ﴾ ﴿١٦﴾				
﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿١٠﴾	يونس	١٠	ك	٩٥
﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿١٧﴾	هود	١١	ك	٤٧
﴿قُلْ إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٥﴾	الزمر	٣٩	ك	١٥
﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَخْبَطُنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿١٦﴾	الزمر	٣٩	ك	٦٥
﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾	فصلت	٤١	ك	٢٣
﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾	فصلت	٤١	ك	٢٥
﴿إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿٤٥﴾	الشورى	٤٢	ك	٤٥
﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ ﴿١٨﴾	الأحقاف	٤٦	ك	١٨

نص الآية	السورة	رقمها	ك/م	الآية
﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ ﴿١٢﴾	النازعات	٧٩	ك	١٢
﴿ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ﴿٨٢﴾	الإسراء	١٧	ك	٨٢
﴿ وَلَا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ﴿٣٩﴾	فاطر	٣٥	ك	٣٩
﴿ وَاتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ﴿٢١﴾	نوح	٧١	ك	٢١
﴿ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المَبِينُ ﴾ ﴿١١﴾	الحج	٢٢	م	١١
﴿ قُلْ إِنَّ الخُسْرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المَبِينُ ﴾ ﴿١٥﴾	الزمر	٣٩	ك	١٥
﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ ﴿١١٩﴾	النساء	٤	م	١١٩
﴿ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخُسْرُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾	هود	١١	ك	٢٢
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخُسْرُونَ ﴾ ﴿٥﴾	النمل	٢٧	ك	٥
﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ﴿١٠٣﴾	الكهف	١٨	ك	١٠٣
﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْخُسْرِينَ ﴾ ﴿٧٠﴾	الأنبياء	٢١	ك	٧٠

نص الآية	السورة	رقمها	م/ك	الآية
﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾	هود	١١	ك	٦٣
﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾	الشعراء	٢٦	ك	١٨١

وردت كلمة (خَسِرَ) ومشتقاتها في خمسة وستين موضعًا :

- تسعة عشر موضعًا في القرآن المدني .

- ستة وأربعون موضعًا في القرآن المكي .

وقفات مع الآيات :

١- أن الله - ﷻ - يذكر من الألفاظ العربية ما يكون معروفًا في البيئة العربية حتى يسهل فهمه ، والبيئة العربية كانت مشتهرة بالتجارة فتعلم معنى الخسارة والخسران، وتعرف معنى (الميزان) ، وخفته وثقله .

٢- أوضحت الآيات أن لفظ الخاسر يطلق على الكافر والمنافق ، وأن المسلم لا ينفك من (خُسِر) ؛ لأن ترك الأعلى والاقتصار بالأدنى من الطاعات نوع خسران .

٣- من سنن الله في الأمم السالفة :

- عدم قبول الإيمان مع اليأس ؛ لأنه إيمان ضرورة ، أما الإيمان النافع

الذى ينجى صاحبه هو الإيمان الاختيارى .

- (الحُسْر) سنة الله في الأمم العاتية ﴿عَتَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الطلاق ٨] .

- سنة الله في خسارة الأمم هي إضاعة استقلالها وسلطان أمة أخرى عليها تستذلها وهو الواقع الآن في حياة الأمة الإسلامية .

- سنة الله الحُكْم في الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة ، وهذا يطبق على الأفراد والأمم ، فيحكم سبحانه في الشيء خلقاً وأمرًا بحكم مثله ، وهذا ما يسمى بقانون التماثل .

٤- حذّر الله المؤمنين من طاعة الكافرين والمنافقين ؛ لأن طاعتهم تورث الخسران في الدنيا والآخرة .

٥- قوله ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [فصلت: ٢٥] ، دليل على تكليف الثقيلين وتعلق الأمر والنهى بهم ، وكذلك تعلق الثواب والعقاب بهم .

٦- بالمغفرة والرحمة ينجو العبد من أن يكون من الخاسرين .

٧- وجوب الوفاء بالعهد والتزامه ، وكل عهد جائز ألزمه المرء نفسه فلا يجز له نقضه سواء أكان بين مسلم أم غيره لزم الله تعالى من نقض عهده .

٨- أن الذين خسروا أنفسهم:

- خسروها بالهلاك الدائم الذى حصل لهم بسبب الكفر .

- خسروا أنفسهم وأهليهم بأن ورّث منازلهم في الجنة غيرهم .

٩- أن المؤمنين يوم القيامة يقولون: ﴿إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الشورى: ٤٥] ، تحدثنا بالنعمة واغتباطاً بالسلامة ، وهذه المقولة تزيد الظالمين ندامة ومهانة وخزى .

١٠- المؤمن يعمل بالطاعات وهو مُشْفِقٌ وَجِلٌ خائف من الخسران، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن.

١١- وصف الخسران بالمبين في ثلاث آيات، وهو خسران النفس، والأهل، وخسران الدنيا والآخرة .

obeikandi.com

المبحث الثاني

أسباب الخسران

أولاً : اتخاذ الشيطان ولياً :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾ [النساء] .

أي: فقد خسر الدنيا والآخرة، وتلك خسارة لا جبر لها ولا استدراك لفاتها^(١).

واعلم أن أحدا لا يختار أن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله ، ولكن المعنى أنه إذا فعل ما أمره الشيطان به وترك ما أمره الرحمن به صار كأنه اتخذ الشيطان ولياً لنفسه وترك ولاية الله تعالى ، وإنما قال : ﴿ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾ لأن طاعة الله تفيد المنافع العظيمة الدائمة الخالصة عن شوائب الضرر ، وطاعة الشيطان تفيد المنافع المنقطعة المشوبة بالغموم والأحزان والآلام الغالبة ، والجمع بينهما محال عقلاً ، فمن رغب في ولايته فقد فاته أشرف المطالب وأجلها بسبب أحسن المطالب وأدونها ، ولا شك أن هذا هو الخسار المطلق^(٢).

وأى خسار أبين وأعظم ممن خسر دينه ودنياه وأوبقته معاصيه وخطاياها؟! فحصل له الشقاء الأبدي، وفاته النعيم السرمدى^(٣).

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ٤١٦ .

(٢) تفسير الرازي: ٥/ ٣٨٧ .

(٣) تفسير السعدي: ٢٠٣ .

ثانيا : التكذيب بيوم القيامة :

قال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ [الأنعام] .

والمقصود بـ ﴿ بلقاء الله ﴾ : هو ظهور آثار رضاه وغضبه دون تأخير ولا إمهال ولا وقاية بأسباب عادية من نظام الحياة الدنيا ، فلما كان العالم الأخرى وهو ما بعد البعث عالم ظهور الحقائق بآثارها دون موانع ، وتلك الحقائق هي مراد الله الأعلى الذى جعله عالم كمال الحقائق ، جعل المصير إليه مماثلا للقاء صاحب الحق بعد الغيبة والاستقلال عنه زمانا طويلا ، فلذلك سمي البعث ملاقة الله ^(١) ، فالذين كذبوا بلقاء الله هم الذين أنكروا البعث بعد الممات ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار ^(٢) ، عن أبى سعيد ، عن النبى ﷺ فى قوله : « يا حسرتنا » ، قال : « يرى أهل النار منازلهم من الجنة فيقولون : يا حسرتنا » ^(٣) ، فهؤلاء قد خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير إلى الله بالبعث بعد الموت ، وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم فى دار النعيم المقيم وحصول العذاب الأليم ، فى دركات الجحيم .

ومن الكلمات التى حكاها الله تعالى عن منكرى البعث : ﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاطِرَةٌ ﴾ [النازعات] والمعنى : كرة منسوبة إلى الخسران ، كقولك تجارة رابحة ، أو خاسر أصحابها ، والمعنى : أنها إن صحت فنحن إذا خاسرون لتكذيبنا ،

(١) التحرير والتنوير : ٤ / ٤٠٣ .

(٢) تفسير الطبرى : ١١ / ٣٢٤ .

(٣) تفسير ابن أبى حاتم : قوله : حتى إذا جاءتهم الساعة ، (٧٢٦٠) .

وهذا منهم استهزاء^(١)، فهي كرة لم يحسبوا حسابها، ولم يقدموا لها زادها، وليس لهم فيها إلا الخسران الخالص.

ثالثا: قتل الأولاد وتحريم رزق الله:

قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام].

يقول تعالى: قد خسر الذين فعلوا هذه الأفعال في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم، وضيقوا عليهم في أموالهم، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم، وأما في الآخرة فيصرون إلى شر المنازل بكذبهم على الله وافتراءهم^(٢).

عن ابن عباس، رضى الله عنهما قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام، ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام]^(٣).

فهؤلاء خسروا الخسارة المطلقة:

- خسروا في الدنيا والآخرة.
- خسروا أنفسهم وخسروا أولادهم.
- خسروا عقولهم وخسروا أرواحهم.
- خسروا الكرامة التي جعلها الله لهم بإطلاقهم من العبودية لغيره؛ وأسلموا أنفسهم لربوبية العبيد؛ حين أسلموها لحاكمية العبيد! وقبل ذلك

(١) تفسير الرازي: ١٦ / ٣٢٥.

(٢) تفسير الطبري: ٣ / ٣٤٧.

(٣) صحيح البخاري: جهل العرب (٣٢٦٢).

كله خسروا الهدى بخسارة العقيدة ، خسروا الخسارة المؤكدة ، وضلوا الضلال الذي لا هداية فيه^(١).

﴿ وحرموا ما رزقهم الله ﴾ أي: ما جعله رحمة لهم، وساقه رزقا لهم، فردوا كرامة ربهم، ولم يكتفوا بذلك، بل وصفوها بأنها حرام، وهى من أحل الحلال.

وكل هذا ﴿ افتراء على الله ﴾ أي: كذبا يكذب به كل معاند كفار، ﴿ قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ أي: قد ضلوا ضلالا بعيدا، ولم يكونوا مهتدين في شيء من أمورهم^(٢).

وذهب عنهم ما كانوا يعبدونهم من دون الله فلا ينصرونهم، ولا يشفعون لهم ولا ينقذونهم مما هم فيه^(٣).

رابعا: الردة^(٤) :

قال تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعُفْلُوكَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النحل] .

أخبر تعالى عن كفر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر واطمأن به: أنه قد غضب عليه، لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأن لهم

(١) في ظلال القرآن : ٣ / ١٦١ .

(٢) تفسير السعدي : ٢٧٥ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٢٦ .

(٤) الردة لغة : الردة عن الإسلام أى: الرجوع عنه، وارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه، (لسان

العرب : ٣ / ١٧٢ .

عذابا عظيما في الدار الآخرة؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا، ولم يهد الله قلوبهم ويثبتهم على الدين الحق، فطبع على قلوبهم فلا يعقلون بها شيئا ينفعهم وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها، ولا أغنت عنهم شيئا، فهم غافلون عما يراد بهم.

(لا جرم) أي: لا بد ولا عجب أن من هذه صفته، (أنهم في الآخرة هم

الخاسرون) أي: الذين خسروا أنفسهم وأهاليهم يوم القيامة^(١).

صور من الردة في العصر الحديث :

ظهرت صور للردة في العصر الحديث :

١- مرتد في نفسه .

٢- مرتد يدعو إلى الردة .

٣- ردة السلطان (الحاكم) .

٤- ردة مغلقة .

يجب أن نفرق بين الردة الخفيفة التي لا يدعو صاحبها إلى الارتداد ويؤخذ فيها برأى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فيما روى البيهقي -رحمه الله- : « أن أنسا عاد من «تستر»^(٢) فقدم على عمر ، فسأله : ما فعل بالسة الرهط من بكر بن وائل الذين ارتدوا عن الإسلام ، فالحقوا بالمشركين ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، قوم ارتدوا عن الإسلام ، و لحقوا بالمشركين ، قتلوا بالمعركة . فاسترجع عمر (أي: قال : «إنا لله و إنا إليه راجعون) قال أنس : وهل كان سبيلهم إلا القتل ؟ قال :

(١) تفسير ابن كثير: ٤ / ٣١٤ .

(٢) تستر : أعظم مدينة بخوزستان اليوم . (معجم البلدان ، ج ١ / ٤١٣) .

نعم ، كنت أعرض عليهم الإسلام ، فإن أبوا أودعتهم السجن»^(١) ، وفي لفظ له : «يؤجل ما رجيت توبته»^(٢) .

والردة الغليظة هي التي يدعو صاحبها للارتداد بلسانه أو بقلمه - كردة سلمان رشدي^(٣) - فالأولى في هذه الحالة الأخذ برأى الجمهور ، وظاهر الأحاديث - القتل - استئصالا للشر ، وسدا لباب الفتنة ؛ لأن المرتد الداعية إلى الردة ليس مجرد كافر بالإسلام ، بل هو حرب على الإسلام وعلى أمته ، فهو مندرج ضمن الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا .

والمحاربة كما قال ابن تيمية - رحمه الله - نوعان :

الأول : محاربة باليد .

الثاني : محاربة باللسان .

والمحاربة باللسان في باب الدين ، قد تكون أنكى من المحاربة باليد ، ولذا كان النبي ﷺ يقتل من كان يحاربه باللسان ، مع استبقائه بعض من حاربه باليد ، وكذلك الإفساد قد يكون باليد ، وقد يكون باللسان ، وما يفسده باللسان من الأديان أضعاف ما تفسده اليد .. «فتبت أن محاربة الله ورسوله باللسان أشد والسعى في الأرض بالفساد أوكد»^(٤) .

والقلم أحد اللسانين ، كما قال الحكماء ، بل ربما أشد من اللسان وأنكى ، ولا سيما في عصرنا لإمكان نشر ما يكتب على نطاق واسع .

(١) سنن البيهقي (٨ / ٢٠٧) .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ابن تيمية ، تحقيق : محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودي ، دار ابن حزم - بيروت ، ط : الأولى ، ١٤١٧ هـ ، (ص ٣٢١) .

(٣) سلمان رشدي : كاتب بريطاني الجنسية ، هندي الأصل ، صنف روايته (آيات شيطانية) سخر فيها من الرسول ﷺ وأزواجه وأصحابه ﷺ واتهمهم بالسوء .

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص ٣٨٥ .

ردة السلطان :

تعتبر من أخطر أنواع الردة ردة السلطان ، ردة الحاكم ، الذي يفترض فيه أن يحرس عقيدة الأمة ، ويقاوم الردة ، ويطارد المرتدين ، ولا يبقى لهم باقية في رحاب المجتمع المسلم فإذا هو نفسه يقود الردة ، سرا وجهرا ، وينشر الفسوق سافرا ومقنعا ، ويحمي المرتدين ويفتح لهم النوافذ والأبواب ، ويمنحهم الأوسمة والألقاب ويصبح الحال كما قال الشاعر :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب !؟

نرى هذا الصنف من الحكام مواليا لأعداء الله ، معاديا لأولياء الله ، مستهينا بالعقيدة ، مستخفا بالشرعية ، غير موقر للأوامر والنواهي الإلهية والنبوية ، مهينا لكل مقدسات الأمة ورموزها من الصحابة الأبرار ، والآل الأطهار ، والخلفاء الأخيار ، والأئمة الأعلام ، وأبطال الإسلام وهؤلاء يعتبرون التمسك بفرائض الإسلام جريمة وتطرفا ، مثل الصلاة في المساجد والحجاب للنساء .

وهؤلاء يطاردون الدعاة الحقيقيين ، ويغلقون الأبواب في وجه كل دعوة أو حركة صادقة تريد أن تجدد الدين ، وتنهض بالدنيا على أساسه^(١).

والسؤال : من الذى يحكم بردتهم ، وأجهزة الإفتاء الرسمى والقضاء الرسمى فى أيديهم؟

يقول الدكتور يوسف القرضاوي^(٢) -حفظه الله : « ليس هناك إلا الرأى العام المسلم والضمير الإسلامى العام ، الذى يقوده الأحرار من العلماء

(١) ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده ، ص ٤٢-٤٣ ، باختصار .

(٢) رئيس الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين ، وداعية إسلامى مصرى .

٨٤ **الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم**
والدعاة وأهل الفكر ، والذي لا يلبث إذا سدت أمامه الأبواب ، وقطعت
دونه الأسباب أن يتحول إلى بركان ينفجر في وجوه الطغاة المرتدين ، فليس
من السهل أن يفرض المجتمع المسلم في هويته ، أو يتنازل عن عقيدته ورسالته
التي هي سر وجوده ، وسر بقائه ^(١) .

الردة المغلفة :

إن صاحبها لا يعلن الكفر بواحا صراحا بل يغلفه بأغلفة شتى ، ويتسلل
به إلى العقول تسلل الأسقام إلى الأجسام ، لا تراه حين يغزو الجسم ، ولكن
بعد أن يبدو مرضه ويظهر عرضه ، فهو لا يقتل بالرصاص يدويا ، بل بالسم
البطيء ، يضعه في العسل والحلوى ، وهذا يدركه الراسخون في العلم ،
والبصراء في الدين ، ولكنهم لا يملكون أن يصنعوا شيئا أمام مجرمين محترفين ،
لا يمكنون من أنفسهم ، ولا يدعون للقانون فرصة ليمسك بخناقهم ، فهؤلاء
هم «المنافقون» الذين هم في الدرك الأسفل من النار .

إنها الردة الفكرية التي تطالعا في صحف تنشر ، وكتب توزع ، ومجلات
تباع وأحاديث تذاق ، وبرامج تشاهد ، وتقاليد تروج ، وقوانين تحكم .

إن الفريضة المؤكدة هنا ، هي : محاربتهم بمثل أسلحتهم ، الفكر بالفكر ،
حتى تكشف أوراقهم ، وتسقط أقنعتهم ، وتزال شبهاتهم بحجج أهل
الحق ^(٢) .

قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ
مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء] .

(١) ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده ، ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم
 وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي
 الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد] .

خامسا : طاعة الذين كفروا :

قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ
 أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [بل الله مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٠٠﴾] ﴿
 [ال عمران] .

«يحذر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين فإن طاعتهم
 تورث الردى في الدنيا والآخرة»^(١) . ويردوهم إلى الكفر بعد الإيمان ، لأن
 قبول قولهم في الدعوة إلى الكفر كفر .

واللفظ يدخل فيه خسران الدنيا والآخرة :

- أما خسران الدنيا ، فلأن أشق الأشياء على العقلاء في الدنيا الانقياد
 للعدو، والتذلل له، وإظهار الحاجة إليه .

- وأما خسران الآخرة فالحرمان عن الثواب المؤبد، والوقوع في العقاب
 المخلد^(٢) .

ثم أخبر أنه مولاهم وناصرهم، ففيه إخبار لهم بذلك، وبشارة بأنه سيتولى
 أمورهم بلطفه، ويعصمهم من أنواع الشرور. وفي ضمن ذلك الحث لهم على
 اتخاذ حده ولينا وناصر من دون كل أحد، فمن ولايته ونصره لهم أنه
 وعدهم أنه سيلقى في قلوب أعدائهم من الكافرين الرعب، وهو الخوف

(١) تفسير ابن كثير : ٢ / ١٣١ .

(٢) تفسير الرازي : ٤ / ٤١١ .

العظيم الذي يمنعهم من كثير من مقاصدهم، وقد فعل تعالى^(١).

واقعنا المعاصر :

لقد انتهز المنافقون واليهود ما أصاب المسلمين من القتل والقرح- في غزة -؛ ليشبطوا عزائمهم ويخوفوهم عاقبة السير مع المقاومة ويصوروا لهم مخاوف القتال وعواقب الاشتباك مع الأقوياء وحلفائهم ، وجو القتل والقرح هو أصلح الأجواء لبلبلة القلوب، وخلخلة الصفوف، وإشاعة عدم الثقة في المقاومة ، والتشكيك في جدوى الإصرار على المعركة مع الأقوياء- من وجهة نظر المتخاذلين- ؛ وتزيين الانسحاب منها ومسالمة الأقوياء فيها! مع إثارة المواجه الشخصية والآلام الفردية؛ وتحويلها كلها لهدم كيان المقاومة ثم لهدم كيان العقيدة ثم للاستسلام للأقوياء عتادا.

ومن ثم يحذر الله الذين آمنوا أن يطيعوا الذين كفروا ، فطاعة الذين كفروا عاقبتها الخسارة المؤكدة وليس فيها ربح ولا منفعة ، وفيها الانقلاب على الأعقاب إلى الكفر . فالؤمن إما أن يمضي في طريقه يجاهد الكفر والكفار ويكافح الباطل والمبطلين وإما أن يرتد على عقبيه كافرا - والعياذ بالله - ومحال أن يقف سلبيا بين بين محافظا على موقفه ومحتفظا بدينه ، إنه قد يخيل إليه هذا ، يخيل إليه تحت وطأة الجرح والقرح أنه مستطيع أن ينسحب من المعركة مع الأقوياء الغالبين وأن يسالمهم ويطيعهم، وهو مع هذا محتفظ بدينه وعقيدته وإيمانه وكيانه! وهو وهم كبير . فالذى لا يتحرك إلى الأمام في هذا المجال لا بد أن يرتد إلى الوراء، والذي لا يكافح الكفر والشر والضلال والباطل والطغيان لا بد أن يتخاذل ويتقهقر ويرتد على عقبيه إلى الكفر والشر والضلال والباطل

الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم
والطغيان! والذي لا تعصمه عقيدته ولا يعصمه إيمانه من طاعة الكافرين
والاستماع إليهم والثقة بهم يتنازل - في الحقيقة - عن عقيدته وإيمانه منذ
اللحظة الأولى، إنها الهزيمة الروحية أن يركن صاحب العقيدة إلى أعداء
عقيدته وأن يستمع إلى وسوستهم وأن يطيع توجيهاتهم. الهزيمة بادئ ذي
بدء، فلا عاصم له من الهزيمة في النهاية والارتداد على عقبيه إلى الكفر، ولو لم
يحس في خطواته الأولى أنه في طريقه إلى هذا المصير البائس .

إن المؤمن يجد في عقيدته وفي قيادته غناء عن مشورة أعداء دينه وأعداء
قيادته .

إذا استمع إلى هؤلاء مرة فقد سار في طريق الارتداد على الأعقاب . .
حقيقة فطرية وحقيقة واقعية ينبه الله المؤمنين لها ويحذرهم إياها .

وأية خسارة بعد خسارة الارتداد على الأعقاب من الإيمان إلى الكفر؟
وأى ربح يتحقق بعد خسارة الإيمان؟^(١)

وهنا يثار تساؤل : ما مبعث طاعة المؤمنين للذين كفروا ؟

وإذا كان مبعث الميل إلى طاعة الذين كفروا هو رجاء الحماية والنصرة
عندهم فهو وهم .

فالجهة الوحيدة التي يطلب المؤمنون عندها الولاية ويطلبون عندها
النصرة هو الله ، قال تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَانِكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ [آل
عمران] ، ومن كان الله مولاه فما حاجته بولاية أحد من خلقه؟ ومن كان الله
ناصره فما حاجته بنصرة أحد من العبيد؟^(٢)

(١) في ظلال القرآن : ١ / ٤٦٦ . بتصرف يسير .

(٢) في ظلال القرآن : ١ / ٤٦٦ .

سادسا : خفة الميزان :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلُمُونَ ﴾ [الأعراف] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون] .

من خفت موازين أعماله الصالحة، فلم تثقل بإقراره بتوحيد الله، والإيمان به ورسوله، واتباع أمره ونهيه، فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته ، بما كانوا بحجج الله وأدلتة يجحدون، فلا يقرون بصحتها، ولا يوقنون بحقيقتها^(١).

سابعا: من أضله الله ﷻ :

وقال تعالى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف] .

يقول تعالى: من هداه الله فإنه لا مضل له، ومن أضله فقد خاب وخسر وضل لا محالة، فإنه تعالى ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن^(٢).

فائدة :

في الآية : تنويه بشأن المهتدين وتلقين للمسلمين للتوجه إلى الله تعالى بطلب الهداية منه والعصمة من مزلق الضلال ، أى فالذين لم يهتدوا إلى الحق بعد أن جاءهم دلت حالهم على أن الله غضب عليهم فحرمهم التوفيق^(٣).

والله سبحانه يهدى من يجاهد ليهتدى ، كذلك ويضل الله من يبغي

(١) تفسير الطبرى: ١٢ / ٣١٥ .

(٢) تفسير ابن كثير: ٣ / ٥١٢ .

(٣) التحرير والتنوير: ٦ / ١٦ .

الضلال لنفسه ويعرض عن دلائل الهدى وموحيات الإيمان ، ويغلق قلبه وسمعه وبصره دونها .

إن مشيئة الله سبحانه التي يجرى بها قدره في الكائن الإنساني ، هي أن يخلق هذا الكائن باستعداد مزدوج للهدى والضلال . . وذلك مع إيداع فطرته إدراك الحقيقة الربوبية الواحدة والاتجاه إليها ، ومع إعطائه العقل المميز للضلال والهدى . ومع إرسال الرسل بالبينات لإيقاظ الفطرة إذا تعطلت وهداية العقل إذا ضل . . ولكن يبقى بعد ذلك كله ذلك الاستعداد المزدوج للهدى والضلال الذي خلق الإنسان به ، وفق مشيئة الله التي جرى بها قدره .

كذلك اقتضت هذه المشيئة أن يجرى قدر الله بهداية من يجاهد للهدى ، وأن يجرى قدر الله كذلك بالضلال من لا يستخدم ما أودعه الله من عقل وما أعطاه من أجهزة الرؤية والسمع في إدراك الآيات الماثورة في صفحات الكون ، وفي رسالات الرسل ، الموحية بالهدى .

وفي كل الحالات تتحقق مشيئة الله ولا يتحقق سواها ، ويقع ما يقع بقدر الله لا بقوة سواه ، وما كان الأمر ليكون هكذا إلا أن الله شاء هكذا ، وما كان شيء ليقع إلا أن يوقعه قدر الله ، فليس في هذا الوجود مشيئة أخرى تجرى وفقها الأمور ، كما أنه ليس هناك قوة إلا قدر الله ينشئ الأحداث . . وفي إطار هذه الحقيقة الكبيرة يتحرك الإنسان بنفسه ، ويقع له ما يقع من الهدى والضلال أيضا^(١) .

وقال صاحب المنار : «من يوفقه الله سبحانه وتعالى لسلوك سبيل الهدى باستعمال عقله وحواسه ، بمقتضى سنة الفطرة وإرشاد الدين ، فهو المهتدى

(١) في ظلال القرآن : ٣ / ٣٢٥ .

٩٠ الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم
 الشاكر لنعمه تعالى ، الفائز بسعادة الدنيا والآخرة ومن يضل فأولئك هم
 الخاسرون أى ومن يخذله بالحرمان من هذا التوفيق ، فيتبع هواه وشيطانه في
 ترك استعمال عقله وحواسه في فقه آياته تعالى وشكر نعمه ، فهو الضال
 الكفور الخاسر لسعادة الدنيا والآخرة ؛ لأنه يخسر بذلك مواهب نفسه التي
 كان بها إنسانا مستعدا للسعادة؛ فتفوته هذه السعادة فوتا إضافية في الدنيا
 وحقيقيا في الآخرة^(١).

ثامنا : من تلهيه أمواله وأولاده عن ذكر الله :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
 وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ [المنافقون] .

والأموال والأولاد ملهاة ومشغلة إذا لم يستيقظ القلب ، ويدرك غاية
 وجوده ، ويشعر أن له هدفا أعلى يليق بالمخلوق الذى نفخ الله فيه من روحه ،
 فأودع روحه الشوق إلى تحقيق بعض صفاته الإلهية في حدود طاقته البشرية .
 وقد منحه الأموال والأولاد ليقوم بالخلافة في الأرض لا لتلهيه عن ذكر الله
 والاتصال بالمصدر الذى تلقى منه ما هو به إنسان^(٢).

فائدة :

الآية : تحذير المؤمنين من أخلاق المنافقين وأمرهم بالإنفاق في سبيل الخير.

تاسعا: الكفر والصد عن سبيل الله :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ^٤ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ

(١) تفسير المنار: ٣٤٩ / ٩.

(٢) في ظلال القرآن: ٢١٩ / ٧.

الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم
 تَحْشُرُونَ ﴿٥٣﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ
 فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي سَهْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٤﴾ [الأنفال] .

سبب النزول :

قال محمد بن إسحاق : لما أصيبت قريش يوم بدر، ورجع فلهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعيره، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية، في رجال من قريش أصيب آباؤهم، وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربته، لعلنا أن ندرك منه ثارا بمن أصيب منا! ففعلوا. قال: ففيهم - كما ذكر عن ابن عباس - أنزل الله، عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ تَحْشُرُونَ﴾ .

أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق، فسيفعلون ذلك، ثم تذهب أموالهم، ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: ندامة؛ حيث لم تجد شيئا؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، ومعلن كلمته، ومظهر دينه على كل دين. فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن عاش منهم، رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه، ومن قتل منهم أو مات، فإلى الخزي الأبدى والعذاب السرمدى؛ ولهذا قال: ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ تَحْشُرُونَ﴾ (١).

الخاسرون على الإطلاق، الخاسرون لكل شيء، الخاسرون للدنيا

والآخرة ، الخاسرون لأنفسهم وللهدى والاستقامة والطمأنينة والحق والنور .

إن الإيمان بالله كسب ، كسب في ذاته ، والأجر عليه بعد ذلك فضل من الله ، إنه طمأنينة في القلب واستقامة على الطريق ، وثبات على الأحداث؛ وثقة بالسند ، واطمئنان للحمى ، ويقين بالعاقبة ، وإن هذا في ذاته هو الكسب؛ وهو هو الذى يخسره الكافرون^(١)، فحصر الخسارة فيهم؛ لأن خسراهم عام في كل أحوالهم؛ ليس لهم نوع من الربح؛ لأن كل عمل صالح شرطه الإيمان؛ فمن لا إيمان له لا عمل له؛ وهذا الخسار هو خسار الكفر^(٢).

والآية تقتضى أنه لا خاسر إلا الكافر ، وهذا يدل على أن كل من لم يكن كافرا فإنه لا بد وأن يحصل له حظ من رحمة الله^(٣).

عاشرا: نقض عهد الله وقطع ما أمر الله به أن يوصل والإفساد فى الأرض :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة] .

فكل عهد بين الله وبين هذا النموذج من الخلق فهو منقوض؛ وكل ما أمر الله به أن يوصل فهو بينهم مقطوع؛ وكل فساد فى الأرض فهو منهم مصنوع .. إن صلة هذا النمط من البشر بالله مقطوعة ، وإن فطرتهم المنحرفة لا تستقيم على عهد ولا تستمسك بعروة ولا تتورع عن فساد ، إنهم كالثمرة الفجة التى انفصلت من شجرة الحياة ، فتعفت وفسدت ونبذتها الحياة ، ومن ثم يكون ضلالهم بالمثل الذى يهدى المؤمنين؛ وتجيء غوايتهم بالسبب الذى يتهدى به المتقون .

(١) فى ظلال القرآن : ٥ / ٤٧٠ .

(٢) تفسير السعدى : ٤٧ .

(٣) الرازى : ١٣ / ٢٨١ .

وعهد الله المعقود مع البشر يتمثل في عهود كثيرة :

- إنه عهد الفطرة المركوز في طبيعة كل حى . . أن يعرف خالقه ، وأن يتجه إليه بالعبادة .

- وعهد الاستخلاف في الأرض الذى أخذه الله على آدم .

- وهو عهوده الكثيرة في الرسالات لكل قوم أن يعبدوا الله وحده ، وأن يحكموا في حياتهم منهجه وشريعته . . وهذه العهود كلها هى التى ينقضها الفاسقون . وإذا نقض عهد الله من بعد ميثاقه ، فكل عهد دون الله منقوض . فالذى يجرؤ على عهد الله لا يحترم بعده عهدا من العهود .

(ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) والله أمر بصلات كثيرة :

- أمر بصلة الرحم والقربى .

- وأمر بصلة الإنسانية الكبرى .

- وأمر قبل هذا كله بصلة العقيدة والأخوة الإيمانية ، التى لا تقوم صلة ولا وشيجة إلا معها . . وإذا قطع ما أمر الله به أن يوصل فقد تفككت العرى ، وانحلت الروابط ، ووقع الفساد في الأرض ، وعمت الفوضى .

(ويفسدون في الأرض) : والفساد في الأرض ألوان شتى ، تتبع كلها من الفسوق عن كلمة الله ، ونقض عهد الله ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل . ورأس الفساد في الأرض هو الحيدة عن منهجه الذى اختاره ليحكم حياة البشر ويصرفها . هذا مفرق الطريق الذى ينتهى إلى الفساد حتما ، فما يمكن أن يصلح أمر هذه الأرض ، ومنهج الله بعيد عن تصريفها ، وشرعية الله مقصاة عن حياتها ، وإذا انقطعت العروة بين الناس وربهم على هذا النحو فهو الفساد الشامل للنفوس والأحوال ، وللحياة والمعاش ؛ وللأرض كلها وما عليها من

ناس وأشياء ، إنه الهدم والشر والفساد حصيلة الفسوق عن طريق الله . . ومن ثم يستحق أهله أن يضلهم الله بما يهدى به عباده المؤمنين ، إنهم ينفقون أموالهم ، ويبدلون جهودهم ، ويستنفدون كيدهم ، في الصد عن سبيل الله ، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين ، وفي حرب العصابة المسلمة في كل أرض وفي كل حين .

إن المعركة لن تكف ، وأعداء هذا الدين لن يدعوه في راحة ، ولن يتركوا أولياء هذا الدين في أمن ، وسبيل هذا الدين هو أن يتحرك ليهاجم الجاهلية ، وسبيل أوليائه أن يتحركوا لتحطيم قدرة الجاهلية على العدوان؛ ثم لإعلاء راية الله حتى لا يجروا عليها الطاغوت .

والله - سبحانه - ينذر الكفار الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله بأنها ستعود عليهم بالحسرة ، إنهم سينفقونها لتضيع في النهاية ، وليغلبوا هم ويتنصر الحق في هذه الدنيا ، وسيحشرون في الآخرة إلى جهنم ، فتتم الحسرة الكبرى .

إن هذا المال الذي ينفق يؤلب الباطل ويملى له في العدوان؛ فيقابله الحق بالكفاح والجهاد؛ وبالحركة للقضاء على قدرة الباطل على الحركة . . وفي هذا الاحتكاك المرير ، تنكشف الطباع ، ويتميز الحق من الباطل ، كما يتميز أهل الحق من أهل الباطل - حتى بين الصفوف التي تقف ابتداء تحت راية الحق قبل التجربة والابتلاء - ويظهر الصامدون الصابرون المشابرون الذين يستحقون نصر الله ، لأنهم أهل لحمل أماناته ، والقيام عليها ، وعدم التفريط فيها تحت ضغط الفتنة والمحنة ، عند ذلك يجمع الله الخبيث على الخبيث ، فيلقى به في جهنم . . وتلك غاية الخسران ، والتعبير القرآني يجسم الخبيث حتى لكأنه جرم ذو حجم ، وكأنها هو كومة من الأقدار ، يقذف بها في النار ،

دون اهتمام ولا اعتبار^(١).

حادى عشر : الآمن من مكر الله :

قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

[الأعراف] .

أي : بأسه ونقمة وقدرته عليهم وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم ؛ ولهذا قال الحسن البصري، رحمه الله : المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن^(٢)، وهم الذين لغفلتهم وجهلهم لا يعرفون ربهم ، فلا يخافونه ، ومن هذه سبيله ، فهو أخسر الخاسرين في الدنيا والآخرة ، لأنه أوقع نفسه في الدنيا في الضرر ، وفي الآخرة في أشد العذاب^(٣) لأنهم باطمئنانهم إلى السلامة الحاضرة ، وإعراضهم عن التفكير فيما يعقبها من الأخذ الشبيه بفعل الماكر قد خسروا الانتفاع بعقولهم وخسروا أنفسهم^(٤) .

وهذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمنا على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفا وجلا أن يتلى ببليّة تسلب ما معه من الإيمان، وألا يزال داعيا بقوله : (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)^(٥) وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يخلصه من الشر، عند وقوع الفتن، فإن العبد - ولو بلغت به الحال ما بلغت - فليس على يقين من السلامة^(٦)، فما

(١) في ظلال القرآن : ٢ / ٣٩٩ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٥١ .

(٣) تفسير الرازي : ٧ / ١٩٥ .

(٤) تفسير التحرير والتنوير : ٥ / ٣٩٣ .

(٥) سنن الترمذي : ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ، (٢٠٦٦) ، حديث حسن .

(٦) في ظلال القرآن : ١ / ٢٩٨ .

وراء الأمن والغفلة والاستهتار إلا الخسار، وما يغفل عن مكر الله هكذا إلا الذين يستحقون هذا الخسار^(١).

ثاني عشر: النفاق :

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج] .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو المنافق، إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت، انقلب فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه، فإن أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر.

وقال مجاهد في قوله: (انقلب على وجهه) أي: ارتد كافراً، وقوله: (خسر الدنيا والآخرة) أي: فلا هو حصل من الدنيا على شيء، وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم، فهو فيها في غاية الشقاء والإهانة؛ ولهذا قال: (ذلك هو الخسران المبين) أي: هذه هي الخسارة العظيمة، والصفة الخاسرة^(٢).

إن العقيدة هي الركيزة الثابتة في حياة المؤمن، تضطرب الدنيا من حوله فيثبت هو على هذه الركيزة وتتجاذبه الأحداث والدوافع فيتشبث هو بالصخرة التي لا تتزعزع؛ وتتهاوى من حوله الأسناد فيستند هو إلى القاعدة التي لا تحول ولا تزول.

هذه قيمة العقيدة في حياة المؤمن، ومن ثم يجب أن يستوى عليها، متمكناً

(١) في ظلال القرآن: ٣/ ٢٦٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥/ ٤٠١.

الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم ٩٧

منها ، واثقا بها ، لا يتلجلج فيها ، ولا ينتظر عليها جزاء ، فهي في ذاتها جزاء ، ذلك أنها الحمى الذي يلجأ إليه ، والسند الذي يستند عليه ، أجل هي في ذاتها جزاء على تفتح القلب للنور ، وطلبه للهدى ، ومن ثم يهبه الله العقيدة ليأوى إليها ، ويطمئن بها ، هي في ذاتها جزاء يدرك المؤمن قيمته حين يرى الخيارى الشاردين من حوله ، تتجاذبهم الرياح ، وتتقاذفهم الزوابع ، ويستبد بهم القلق ، بينما هو بعقيدته مطمئن القلب ، ثابت القدم ، هادئ البال ، موصول بالله ، مطمئن بهذا الاتصال .

أما ذلك الصنف من الناس الذي يتحدث عنه السياق فيجعل العقيدة صفقة في سورة التجارة : (فإن أصابه خير اطمأن به) وقال : إن الإيمان خير .

فها هو ذا يجلب النفع ، ويدر الضرع ، وينمى الزرع ، ويربح التجارة ، ويكفل الرواج (وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة) ، خسر الدنيا بالبلاء الذي أصابه فلم يصبر عليه ، ولم يتماسك له ، ولم يرجع إلى الله فيه ، وخسر الآخرة بانقلابه على وجهه ، وانكفائه عن عقيدته ، وانتكاسه عن الهدى الذي كان يسير له .

والتعبير القرآنى يصوره في عبادته لله (على حرف) غير متمكن من العقيدة ، ولا مثبت في العبادة ، يصوره في حركة جسدية متأرجحة قابلة للسقوط عند الدفعة الأولى ، ومن ثم ينقلب على وجهه عند مس الفتنة ، ووقفته المتأرجحة تمهد من قبل لهذا الانقلاب !

إن حساب الربح والخسارة يصلح للتجارة ، ولكنه لا يصلح للعقيدة . فالعقيدة حق يعتنق لذاته ، بانفعال القلب المتلقى للنور والهدى الذى لا يملك إلا أن يفعل بما يتلقى ، والعقيدة تحمل جزاءها في ذاتها ، بما فيها من طمأنينة وراحة ورضى ، فهي لا تطلب جزاءها خارجا عن ذاتها .

والمؤمن يعبد ربه شكرا له على هدايته إليه ، وعلى اطمئنانه للقرب منه والأنس به ، فإن كان هنالك جزاء فهو فضل من الله ومنة ، استحقاقا على الإيثار أو العبادة!

والمؤمن لا يجرب إلهه . فهو قابل ابتداء لكل ما يقدره له ، مستسلم ابتداء لكل ما يجربه عليه راض ابتداء بكل ما يناله من السراء والضراء ، وليست هي صفقة في السوق بين بائع وشار ، إنما هي إسلام المخلوق للخالق ، صاحب الأمر فيه ، ومصدر وجوده من الأساس

والذى ينقلب على وجهه عند مس الفتنة يخسر الخسارة التى لا شبهة فيها ولا ريب .

يخسر الطمأنينة والثقة والهدوء والرضى . إلى جوار خسارة المال أو الولد ، أو الصحة ، أو أعراض الحياة الأخرى التى يفتن الله بها عباده ، ويبتلى بها ثقتهم فيه ، وصبرهم على بلائه ، وإخلاصهم أنفسهم له ، واستعدادهم لقبول قضائه وقدره . . ويخسر الآخرة وما فيها من نعيم وقربى ورضوان . فيا له من خسران^(١) .

ثالث عشر : الظن الفاسد :

قال تعالى : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿١١٦﴾ [فصلت] .

تلا الحسن : (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) فقال : إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم ؛ فأما المؤمن فأحسن بالله الظن ، فأحسن العمل ؛ وأما الكافر والمنافق ، فأساء الظن فأساء العمل .

(١) في ظلال القرآن: ٥ / ١٨٦ .

عن قتادة، قال: الظن ظنان:

- فظن منج، وظن مرد قال: (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) قال (إنى ظننت أنى ملاق حسابه)، وهذا الظن المنجى ظنا يقينا.
- وقال ها هنا: (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) هذا ظن مرد^(١).

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن، فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله، فقال الله تعالى: (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين)"^(٢).

وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية: هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها ويتكلمون على المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا مفاليس، ثم قرأ: "وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين"^(٣).

وهذا نص صريح في أن من ظن بالله تعالى أنه يخرج شيء من المعلومات عن علمه فإنه يكون من الهالكين الخاسرين.

قال أهل التحقيق الظن قسمان: ظن حسن بالله تعالى وظن فاسد:

- أما الظن الحسن فهو أن يظن به الرحمة والفضل، قال صلى ﷺ حكاية عن الله ﷻ: "أنا عند ظن عبدي بي"^(٤).

- والظن القبيح فاسد وهو أن يظن بالله أنه يعزب عن علمه بعض هذه

(١) تفسير الطبرى: ٤٥٧ / ٢١.

(٢) مسند أحمد: ٣ / ٣٩٠.

(٣) تفسير القرطبي: ٣٥٣ / ١٥.

(٤) صحيح البخارى: قوله تعالى ويحذرکم الله نفسه، (٦٨٥٦).

والمعنى : أنه نعى عليهم سوء استدلالهم وفساد قياسهم في الأمور الإلهية ، وقياسهم الغائب على الشاهد ، تلك الأصول التي استدرجتهم في الضلالة فأحالوا رسالة البشر عن الله ونفوا البعث ، ثم أثبتوا شركاء الله في الإلهية ، وتفرع لهم من ذلك كله قطع نظرهم عما وراء الحياة الدنيا، وأمنهم من التبعات في الحياة الدنيا.

واعلم أن أسباب الضلال في العقائد كلها إنما تأتي على الناس من فساد التأمل وسرعة الإيقان، وعدم التمييز بين الدلائل الصائبة والدلائل المشابهة، وكل ذلك يفضي إلى الوهم المعبر عنه بالظن السيئ ، أو الباطل .

فليحذر المؤمنون من الوقوع في مثل هذه الأوهام فيبتئوا ببعض ما نعى على عبدة الأصنام^(٢).

رابع عشر : زيادة الكفر :

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [فاطر] .

تركيب عجيب، لأن ظاهره يقتضى أن الكافرين كانوا قبل الكفر ممقوتين عند الله، فلما كفروا زادهم كفرهم مقتا عنده ، في حال أن الكفر هو سبب مقت الله إياهم ، ولو لم يكفروا لما مقتهم الله، فتأويل الآية : أنهم لما وصفوا بالكفر ابتداء ثم أخبر بأن كفرهم يزيدهم مقتا، علم أن المراد بكفرهم الثانى

(١) تفسير الرازى : ١٣ / ٣٨٦ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٦ .

الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم ١٠١

الدوام على الكفر يوما بعد يوم ، وقد كان المشركون يتكبرون على المسلمين ويشاققونهم ويؤسسونهم من الطماعية في أن يقبلوا الإسلام ، بأنهم أعظم من أن يتبعوهم وأنهم لا يفارقون دين آبائهم ، ويحسبون ذلك مقما منهم للمسلمين فجازاهم الله بزيادة المقت على استمرار الكفر ، وشبه عملهم في الكفر بعمل التاجر والخاسر ، أى الذى بارت سلعته ، فباع بأقل مما اشتراها به فأصابه الخسار فكلما زاد بيعا زادت خسارته حتى تفضى به إلى الإفلاس^(١).

فائدة :

التكرار في الآية دليل على أن الكفر يستوجب أمرين هما :

- البغض .

- والخسران .

" إن تتابع الأجيال في الأرض ، وذهاب جيل ومجئ جيل ، ووراثه هذا لذلك ، وانتهاء دولة وقيام دولة ، وانطفاء شعلة واتقاد شعلة ، وهذا الدثور والظهور المتواليان على مر الدهور . . إن التفكير في هذه الحركة الدائبة خليق أن يجيد للقلب عبرة وعظة ، وأن يشعر الحاضرين أنهم سيكونون بعد حين غابرين ، يتأمل الآتون بعدهم آثارهم ويتذكرون أخبارهم ، كما هم يتأملون آثار من كانوا قبلهم ويتذكرون أخبارهم ، وجدير بأن يوقظ الغافلين إلى اليد التى تدير الأعمار ، وتقلب الصولجان ، وتديل الدول ، وتورث الملك ، وتجعل من الجيل خليفة لجيل . وكل شيء يمضى وينتهى ويزول ، والله وحده هو الباقي الدائم الذى لا يزول ولا يحول .

ومن كان شأنه أن ينتهى ويمضى ، فلا يخلد ولا يبقى ، من كان شأنه أنه

(١) التحرير والتنوير : ١١ / ٤٩١ .

١٠٢ _____ الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم
سائح في رحلة ذات أجل؛ وأن يعقبه من بعده، ليرى ماذا ترك وماذا عمل ،
وأن يصير في النهاية إلى من يحاسبه على ما قال وما فعل ، من كان هذا شأنه
جدير بأن يحسن ثوائه القليل ، ويترك وراءه الذكر الجميل ، ويقدم بين يديه ما
ينفعه في مثواه الأخير^(١) .

خامس عشر : اتباع أهل الأموال والأولاد الذين استعملوها في تأييد
الكفر والفساد :

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّعَزِزَةٌ مَّا لَهُ، وَوَلَدُهُ: إِلَّا
خَسَارًا ﴿١٠١﴾ [نوح] .

قال نوح عليه السلام : خالفوا أمري، وردوا على ما دعوتهم إليه من الهدى
والرشاد، واتبعوا في معصيتهم إياي من دعاهم إلى ذلك، ممن كثر ماله وولده،
فلم تزد كثره ماله وولده إلا بعدا من الله، وذهابا عن محجة الطريق^(٢)، وهى
في نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام.

واتبعوا أهل الأموال والأولاد التي لم تزدهم تلك الأموال والأولاد إلا
خسارا، لأنهم استعملوها في تأييد الكفر والفساد، فزادتهم خسارا إذ لو لم تكن
لهم أموال ولا أولاد لكانوا أقل ارتكابا للفساد^(٣) .

إنهم عصوه: "بعد كل هذا الجهاد، وبعد كل هذا العناء، وبعد كل هذا
التوجيه، وبعد كل هذا التنوير، وبعد الإنذار والإطعام والوعد بالمال والبنين
والرخاء . . بعد هذا كله كان العصيان، وكان السير وراء القيادات الضالة
المضللة، التي تخدع الأتباع بما تملك من المال والأولاد، ومظاهر الجاه

(١) في ظلال القرآن: ٦ / ١٥٢ .

(٢) تفسير الطبري: ٢٣ / ٦٣٨ .

(٣) التحرير والتنوير: ١٥ / ٣٤٢ .

الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم ١٠٣
والسلطان ، ممن (لم يزدده ماله وولده إلا خساراً) فقد أغراهم المال والولد
بالضلال والإضلال ، فلم يكن وراءهما إلا الشقاء والخسران^(١) .

من الفوائد :

١- لا تجوز الشكوى إلا إلى الله عز وجل ، ولذا شكى نوح قومه إلى ربه ،
وأنتهم عصوه ولم يتبعوه فيها أمرهم به من الإيثار ، بعد أن لبث فيهم ألف سنة
إلا خمسين عاماً ، داعياً لهم ، وهم على كفرهم وعصيانهم .

٢- يقلد الناس في العادة قاداتهم وكبراءهم ، وقد اتبع قوم نوح رؤساءهم
وأغنياءهم الذين لم يزددهم كفرهم وأموالهم وأولادهم إلا ضلالاً في الدنيا
وهلاكاً في الآخرة .

٣- والآية تحذر من الانخداع بالسبب وراء القيادات المضللة التي
استعملت نعم الله عليها من مال وأولاد وسلطان في التحكم في ظلم العباد
وخراب البلاد ، وحولت الوطن إلى سجن كبير ، واستبد أهل المال والسلطان
بالحكم - وتزوجوا وعلم الجميع بعرضهم ، لأنهم ذاقوا ويلات ومصائب هذا
الزواج - وحكموا العباد بالحديد والنار ، والذي ينصح ويأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر وفق ما شرعه الله ، فمصيره التغييب في السجون أو في القبور .

سادس عشر : الكفر بالإيمان :

قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصَيْنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَخْذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ
يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٣٥٠﴾ [المائدة] .

يعنى " ومن يجحد ما أمر الله بالتصديق به، من توحيد الله ونبوة محمد ﷺ وما جاء به من عند الله ، فقد بطل ثواب عمله الذى كان يعمله فى الدنيا، يرجو أن يدرك به منزلة عند الله، وهو فى الآخرة من المهالكين، الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من ثواب الله بكفرهم بمحمد، وعملهم بغير طاعة الله^(١) .

إن التشريعات كلها منوطة بالإيمان؛ وتنفيذها كما هى هو الإيمان؛ أو هو دليل الإيمان ، فالذى يعدل عنها إنما يكفر بالإيمان، ويستره ويغطيه ويجحده ، والذى يكفر بالإيمان يبطل عمله، ويصبح ردا عليه لا يقبل منه ، ولا يقر عليه.. والحبوط مأخوذ من انتفاخ الدابة وموتها إذا رعت مرعى ساما.. وهو تصوير لحقيقة العمل الباطل ، فهو ينتفخ ثم ينعدم أثره، كالدابة التى تتسمم وتنتفخ وتموت.. وفى الآخرة تكون الخسارة فوق جبوط العمل وبطلانه فى الدنيا.

وهذا التعقيب الشديد ، والتهديد المخيف ، يجى على أثر حكم شرعى يختص بحلال وحرام فى المطاعم والمناكح ، فيدل على ترابط جزئيات هذا المنهج؛ وأن كل جزئية فيه هى « الدين » الذى لا هوادة فى الخلاف عنه ، ولا قبول لما يصدر مخالفا له فى الصغير أو فى الكبير^(٢) .

سابع عشر : عدم الائتمار والانهاء بما جاء به القرآن :

قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء] .

ونزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من

(١) تفسير الطبرى: ٩/ ٥٩٢ .

(٢) فى ظلال القرآن: ٢/ ٣٢١ .

الضلالة، ويصبر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه، فيدخلهم بذلك الجنة، وينجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم، ولا يزيد هذا الذي نزل عليك من القرآن للكافرين به إلا إهلاكاً، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء أو نهى عن شيء كفروا به، فلم يأتروا لأمره، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه، فزادهم ذلك خساراً إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار، ورجسا إلى رجسهم قبل.

عن قتادة، قوله: ﴿ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه (ولا يزيد الظالمين) به (إلا خساراً) أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه، وإن الله جعل هذا القرآن شفاءً ورحمة للمؤمنين.

وقال الحسن: والله من جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله: ﴿ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (١).

يقول تعالى مخبراً عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ - وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد - إنه: ﴿ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: يذهب ما في القلوب من أمراض، من شك ونفاق، وشرك وزيف وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله، وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدق واتبعه، فإنه يكون شفاءً في حقه ورحمة، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعداً وتكديباً وكفراً، والآفة من الكافر لا

فالكافرون لا ينتفعون بما فيه من شفاء ورحمة ، وهم في غيظ وقهر من استعلاء المؤمنين به ، وهم في عنادهم وكبرياتهم يشتطون في الظلم والفساد ، وهم في الدنيا مغلوبون من أهل هذا القرآن ، فهم خاسرون ، وفي الآخرة معذبون بكفرهم به ولجاجهم في الطغيان ، فهم خاسرون (٢).

ثامن عشر : من دان بغير دين الإسلام :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [آل عمران] .

أي : من سلك طريقا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه (٣).

قال سيد قطب - رحمه الله : لن يكون الإسلام إذن هو النطق بالشهادتين ، دون أن يتبع شهادة أن لا إله إلا الله معناها وحقيقتها ، وهى توحيد الألوهية وتوحيد القوامة ، ثم توحيد العبودية وتوحيد الاتجاه ، ودون أن يتبع شهادة أن محمدا رسول الله معناها وحقيقتها ، وهى التقيد بالمنهج الذى جاء به من عند ربه للحياة ، واتباع الشريعة التى أرسله بها ، والتحاكم إلى الكتاب الذى حملة إلى العباد .

ولن يكون الإسلام إذن تصديقا بالقلب بحقيقة الألوهية والغيب والقيامة وكتب الله ورسله . . دون أن يتبع هذا التصديق مدلوله العملى ، وحقيقته الواقعية التى أسلفنا . .

(١) تفسير ابن كثير : ٥ / ١١٢ .

(٢) فى ظلال القرآن : ٤٢ / ٥ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٢ / ٧٠ .

الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم ١٠٧

ولن يكون الإسلام شعائر وعبادات ، أو إشراقات وسبحات ، أو تهذيبا خلقيا وإرشادا روحيا . . دون أن يتبع هذا كله آثاره العملية ممثلة في منهج للحياة موصول بالله الذي تتوجه إليه القلوب بالعبادات والشعائر ، والإشراقات والسبحات ، والذي تستشعر القلوب تقواه، فتتهذب وترشد . . فإن هذا كله يبقى معطلا لا أثر له في حياة البشر ما لم تنصب آثاره في نظام اجتماعي يعيش الناس في إطاره التنظيف الوضع .

هذا هو الإسلام كما يريد الله؛ ولا عبرة بالإسلام كما تريده أهواء البشر في جيل منكود من أجيال الناس! ولا كما تصوره رغائب أعدائه المتربصين به ، وعملائهم هنا أو هناك!

فأما الذين لا يقبلون الإسلام على النحو الذي أراده الله ، بعدما عرفوا حقيقته ، ثم لم تقبلها أهواؤهم ، فهم في الآخرة من الخاسرين^(١).

فائدة :

كل من دان بغير دين الإسلام فعمله مردود وهو خاسر في الآخرة.

(١) في ظلال القرآن: ١/ ٣٩٦.

obeikandi.com

المبحث الثالث

نصيحة الرسل لأقوامهم باجتنب أسباب الخسران

المطلب الأول

محمد ﷺ ينصح قومه

قال تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخُسْرَانَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٥٠﴾﴾ [الزمر].

وتحت لفظ "قل" من السر: أن النبي ليس له في القرآن إلا إبلاغه، لا أنه أنشأه من قبل نفسه، بل هو المبلغ له عن الله، وهذا هو المعنى الذى أشار إليه بقوله: قيل، فقلت كما جاء في صحيح البخارى: عن زر بن حبيش قال: سألت أبى بن كعب عن المعوذتين فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: قيل لى، فقلت، فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ^(١).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: هم الكفار الذين خلقهم الله للنار، وخلق النار لهم، فزالت عنهم الدنيا، وحرمت عليهم الجنة^(٢)، فتفارقوا فلا التقاء لهم أبدا، سواء ذهب أهلهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور، وهذا هو الخسار البين الظاهر الواضح^(٣).

وقال: قال ابن عباس رضى الله عنهما: وذلك أن الله جعل لكل إنسان

(١) صحيح البخارى: سورة «قل أعوذ برب الفلق» (١٥ / ٣٦٨).

(٢) تفسير الطبرى: ٢١ / ٢٧١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٧ / ٩٠.

١١٠ الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم
منزلاً في الجنة وأهلاً، فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له، ومن
عمل بمعصية الله دخل النار، وكان ذلك المنزل والأهل، لغيره ممن عمل بطاعة
الله^(١).

(١) تفسير البغوي: ٧ / ١١٢.

المطلب الثاني

موسى عليه السلام ينصح قومه

قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ وفيه وجهان:

الأول: لا ترجعوا عن الدين الصحيح إلى الشك في نبوة موسى عليه السلام، وذلك لأنه عليه السلام لما أخبر أن الله تعالى جعل تلك الأرض لهم كان هذا وعداً بأن الله تعالى ينصرهم عليهم، فلو لم يقطعوا بهذه النصرة صاروا شاكين في صدق موسى عليه السلام فيصيروا كافرين بالإلهية والنبوة.

والوجه الثاني: المراد لا ترجعوا عن الأرض التي أمرتم بدخولها إلى الأرض التي خرجتم عنها، يروى أن القوم كانوا قد عزموا على الرجوع إلى مصر^(١).

قوله (فتنقلبوا خاسرين) فيه وجوه:

أحدها: خاسرين في الآخرة، فإنه يفوتكم الثواب ويلحقكم العقاب.

وثانيها: ترجعون إلى الذل.

وثالثها: تموتون في التيه ولا تصلون إلى شيء من مطالب الدنيا ومنافع الآخرة^(٢).

والأرض المقدسة التي هم مقدمون عليها مكتوبة لهم بوعد الله ، فهي إذن يقين ، وقد رأوا من قبل كيف صدقهم الله وعده ، وهذا وعده الذي هم عليه قادمون . . والارتداد على الأدبار هو الخسران المين .

ولكن إسرائيل ، هي إسرائيل الجبن ، والتمحل ، والنكوص على الأعقاب ، ونقض الميثاق .

إن جبلة يهود لتبدو هنا على حقيقتها ، مكشوفة بلا حجاب ولو رقيق من التجمل ، ذلك أنهم أمام الخطر؛ فلا بقية إذن من تجمل؛ ولا محاولة إذن للتشجع ، ولا مجال كذلك للتمحل ، إن الخطر مائل قريب؛ ومن ثم لا يعصمهم منه حتى وعد الله لهم بأنهم أصحاب هذه الأرض ، وأن الله قد كتبها لهم - فهم يريدونه نصرار خيضا ، لا ثمن له ، ولا جهد فيه ، نصرار مريحا يتنزل عليهم تنزل المن والسلوى^(١) .

المطلب الثالث

صالح عليه السلام ينصح قومه

تجلى حقيقة الألوهية في قلب من قلوب الصفوة المختارة . قلوب الرسل الكرام ، فنجدها في قولة صالح التي يحكيها عنه القرآن الكريم : ﴿ قَالَ يَنْقُومِ آرَاءَ يَثْرَ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ [هود] .

وفي تفسير هذه الكلمة - فما تزيدونني غير تخسير - وجهان :

الأول : أن على هذا التقدير تخسرون أعمالى وتبطلونها .

الثانى : أن يكون التقدير فما تزيدونني بما تقولون لى وتحملونى عليه غير أن أخسر كم أى : أنسبكم إلى الخسران ، وأقول لكم : إنكم خاسرون ، والقول الأول أقرب ؛ لأن قوله : ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾ ، كالدلالة على أنه أراد إن أتبعكم فيما أنتم عليه من الكفر الذى دعوتوننى إليه لم أزد إلا خسرانا فى الدين فأصير من الهالكين الخاسرين ^(١) .

قال سيد قطب - رحمه الله : « يا قوم : ماذا ترون إن كنت أجد فى نفسى حقيقة ربى واضحة بينة ، تجعلنى على يقين من أن هذا هو الطريق ؟ وآتانى منه رحمة فاخترانى لرسالته وأمدنى بالخصائص التى تؤهلنى لها ، فمن ينصرنى من الله إن أنا عصيته ، فقصرت فى إبلاغكم دعوته ، احتفاظا برجائكم فى ؟ أفنافعى هذا الرجاء وناصرى من الله ؟ كلا :

ما تزيدونني إلا خسارة على خسارة . . غضب الله وحرمانى شرف الرسالة وخزى الدنيا وعذاب الآخرة ، وهى خسارة بعد خسارة ، ولا شيء إلا التخصير! والتثقيل والتشديد^(١).

وقال الشيخ رشيد رضا - رحمه الله : « أى: ما تزيدونني بحرصى على رجائكم فى واتقاء سوء ظنكم وارتيابكم ، غير إيقاع فى الخسران بإيثار ما عندكم على ما عند الله ، واشتراء رضاكم بسخط الله - تعالى - ، أو غير إيقاع فى الهلاك، ولعل مرادهما : ما تزيدونني بقولكم إلا علما بخساركم، باستبدال الشرك بالتوحيد^(٢).

(١) فى ظلال القرآن: ٤ / ٢٥٠.

(٢) تفسير المنار: ١٢ / ١٠٢.

المطلب الرابع

شعيب عليه السلام ينصح قومه

قال تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء ١٨١].
 يأمرهم تعالى بإيفاء المكيال والميزان، وينهاهم عن التطفيف فيهما، فقال:
 ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أي: إذا دفعتم إلى الناس فكمّلوا
 الكيل لهم، ولا تخسروا الكيل فتعطوه ناقصا، وتأخذوه - إذا كان لكم - تاما
 وافيا، ولكن خذوا كما تعطون، وأعطوا كما تأخذون^(١).

قال الرازي - رحمه الله - : و الكيل على ثلاثة أضرب:

- واف .

- وطفيف .

- وزائد فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء بقوله: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ ونهى
 عن المحرم الذي هو التطفيف بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ولم
 يذكر الزائد، لأنه بحيث إن فعله فقد أحسن، وإن لم يفعله فلا إثم عليه^(٢).

وقال سيد قطب - رحمه الله : وقد أمرهم رسولهم بالعدل والقسط في هذا
 كله ، لأن العقيدة الصحيحة يتبعها حسن المعاملة ، ولا تستطيع أن تغضى عن
 الحق والعدل في معاملات الناس^(٣).

(١) تفسير ابن كثير: ٦/ ١٥٩.

(٢) تفسير الرازي: ١١/ ٤٩٦.

(٣) في ظلال القرآن: ٥/ ٣٦١.

obeikandi.com

المبحث الرابع

صور الخسران في الدنيا والآخرة

خسران الدنيا : هو خسران : العزة والكرامة وإصابة الغنيمة وأهلية الشهادة والإمامة والقضاء ولا يبقى ماله ودمه مصونا .

وخسران الآخرة : أن يفوته الثواب الدائم ويحصل له العقاب الدائم^(١) .

ومن صور الخسران :

أولا : خسران النفس :

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام] .

لقد خسروا أنفسهم وفقدوها؛ فلم تعد لهم نفس تؤمن! . . هو تعبير دقيق عن حالة واقعة . . إن الذين لا يؤمنون بهذا الدين - مع عمق ندائه وإيحائه للفطرة بموحيات الإيمان ودلائله - هؤلاء لا بد أن يكونوا قد فقدوا قبل ذلك فطرتهم! لا بد أن تكون أجهزة الاستقبال والاستجابة الفطرية في كياناتهم معطلة مخربة؛ أو محجوبة مغلفة . فهم في هذه الحالة قد خسروا أنفسهم ذاتها ، بفقدانهم أجهزة الاستقبال والاستجابة الفطرية الحية في كياناتها ، ومن ثم فهم لا يؤمنون . . إذ أنهم لم يعودوا يملكون أنفسهم التي بها يؤمنون . . وهذا هو التفسير العميق لعدم إيمانهم مع توافر دلائل الإيمان وموحياته من حولهم . .

وهذا هو الذى يحدد مصيرهم فى ذلك اليوم ، وهو الخسارة الكبرى المترتبة على خسارتهم من قبل لنفوسهم^(١).

ثانيا : خسران النفس والأهل :

﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ ﴾ أي: إنما الخاسرون كل الخسران ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي: تفارقوا فلا التقاء لهم أبدا، سواء ذهب أهلونهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور، ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ أي: هذا هو الخسار البين الظاهر الواضح^(٢). وخسرانهم أهلهم فهو مثل خسرانهم أنفسهم وذلك أنهم أغروا أهلهم من أزواجهم وأولادهم بالكفر كما أوقعوا أنفسهم فيه، فلم ينتفعوا بأهلهم فى الآخرة ولم ينفعوهم ، فكان خسرانهم خسرانا عظيما^(٣).

(١) فى ظلال القرآن : ٢ / ٤٨٩ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٧ / ٩٠ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٢ / ٣٠٥ .

المبحث الخامس

الأسباب المنجية من الخسران

أولاً : الإيمان والعمل الصالح :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ ﴾ [العصر] .

العصر : الزمان الذي يقع فيه حركات بنى آدم، من خير وشر .

فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر، أي : في خسارة وهلاك، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر^(١).

فأقسم سبحانه أن كل أحد خاسر إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان، وقوته العملية بالعمل الصالح، وكمل غيره بالتوصية بالحق والصبر عليه، فالحق هو الإيمان والعمل، ولا يتهان إلا بالصبر عليهما والتواصي بهما.

دلالات الاستثناء في السورة :

قال تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [العصر : ١٣]

أحدها : أنه تسلية للمؤمن من فوت عمره وشبابه ، لأن العمل قد أوصله إلى خير من عمره وشبابه .

(١) تفسير ابن كثير : ٨ / ٤٨٠ .

ثانيها : أنه تنبيه على أن كل ما دعاك إلى طاعة الله فهو الصلاح ، وكل ما شغلك عن الله بغيره فهو الفساد .

ثانيا : التواصي بالحق والتواصي بالصبر :

دلالة التواصي في السورة :

قوله تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر] .

فاعلم أنه تعالى لما بين في أهل الاستثناء أنهم بإيمانهم وعملهم الصالح خرجوا عن أن يكونوا في خسر ، وصاروا أرباب السعادة من حيث إنهم تمسكوا بما يؤديهم إلى الفوز بالثواب ، والنجاة من العقاب وصفهم بعد ذلك بأنهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا يقتصرون على ما يخصهم ، بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ، ليكونوا أيضا سببا لطاعات الغير ، كما ينبغي أن يكون عليه أهل الدين .

فالتواصي بالحق : يدخل فيه سائر الدين من علم وعمل ، والتواصي بالصبر يدخل فيه حمل النفس على مشقة التكليف في القيام بما يجب ، وفي اجتنابهم ما يحرم إذ الإقدام على المكروه ، والإحجام عن المراد كلاهما شاق شديد .

وفي الآية مسائل :

المسألة الأولى : هذه الآية فيها وعيد شديد ، وذلك لأنه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس إلا من كان آتيا بهذه الأشياء الأربعة ، وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور ، وإنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه ، فكذلك يلزمه في غيره أمور ، منها الدعاء إلى الدين والنصيحة والأمر

الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم ١٢١

بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يجب له ما يجب لنفسه ، ثم كرر التواصي ليضمن الأول الدعاء إلى الله ، والثاني الثبات عليه ، والأول الأمر بالمعروف والثاني النهي عن المنكر .

المسألة الثانية : دلت الآية على أن الحق ثقيل ، وأن المحن تلازمه ، فلذلك قرن به التواصي .

المسألة الثالثة : إنها قال : (وتواصوا) ولم يقل : ويتواصون لثلا يقع أمر ابل الغرض مدحهم بما صدر عنهم في الماضي ، وذلك يفيد رغبتهم في الثبات عليه في المستقبل^(١) .

وهنا تساؤل : لماذا التواصي بالحق ضرورة ؟

التواصي بالحق ضرورة ، فالنهوض بالحق عسير ، والمعوقات عن الحق كثيرة :

- هوى النفس .
- ومنطق المصلحة .
- وتصورات البيئة .
- وطغيان الطغاة .
- وظلم الظلمة .
- وجور الجائرين .

والتواصي تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى في الهدف والغاية ، والأخوة في العبد والأمانة ، فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية ، إذ تتفاعل معا

(١) تفسير الرازي : ١٧ / ٢٠١ .

فتضاعف ، تتضاعف بإحساس كل حارس للحق أن معه غيره يوصيه ويشجعه ويقف معه ويحبه ولا يخذله . . وهذا الدين وهو الحق لا يقوم إلا في حراسة جماعة متواصية متكافلة متضامنة على هذا المثال .

وهنا تساؤل : لماذا التواصي بالصبر ضرورة ؟

والتواصي بالصبر كذلك ضرورة ، فالقيام على الإيثار والعمل الصالح ، وحراسة الحق والعدل ، من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة ، ولا بد من الصبر . لا بد من الصبر على :

- جُهاد النفس ، وجهاد الغير .
- والصبر على الأذى والمشقة .
- والصبر على تبجح الباطل وتنفج الشر .
- والصبر على طول الطريق وبطء المراحل ، وانطماس المعالم ، وبعد النهاية .

والتواصي بالصبر يضاعف المقدرة ، بما يعثه من إحساس بوحدة الهدف ، ووحدة المتجه ، وتساند الجميع ، وتزودهم بالحب والعزم والإصرار . . إلى آخر ما يثيره من معاني الجماعة التي لا تعيش حقيقة الإسلام إلا في جوها ، ولا تبرز إلا من خلالها . . وإلا فهو الخسران والضياع .

ثالثا : فضل الله ورحمته :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [البقرة] . ففيه بحثان :

الأول : ذكر القفال في تفسيره وجهين ، الأول : لولا ما تفضل الله به

عليكم من إمهالكم وتأخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين، أى: من الهالكين الذين باعوا أنفسهم بنار جهنم ، فدل هذا القول على أنهم إنما خرجوا عن هذا الخسران، لأن الله تعالى تفضل عليهم بالإمهال حتى تابوا ، الثانى : أن يكون الخبر قد انتهى عند قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ ثم قيل : ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ رجوعا بالكلام إلى أوله ، أى لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على ردكم الكتاب، ولكنه تفضل عليكم ورحمكم فلطف بكم بذلك حتى تبتم^(١).

"ذكرهم بما كان منهم من التولى عن الطاعة والإعراض عن القبول ، ثم امتن عليهم بما عاملهم به من الفضل والرحمة ، والصفح عما يستحقونه من المؤاخذة والعقوبة ، فقال : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ أى ثم أعرضتم وانصرفتم عن الطاعة من بعد أخذ الميثاق ومشاهدة الآيات التى تؤثر فى القلوب ، وتستكين لها النفوس ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٢) أى : إنكم بتوليكم استحققت العقاب ، ولكن حال دون نزوله بكم فضل الله عليكم ورحمته بكم ، ولولا ذلك لخسرتم سعادة الدنيا ، وهى التمكن فى الأرض المقدسة التى تفيض لبنا وعسلا ، ثم خسرتم سعادة الآخرة وهى خير ثوابا وخير أملا ، فمن فضله وإحسانه أن وفقكم للعمل بالميثاق بعد ذلك^(٣) .

رابعا : طلب مغفرة الله ورحمته بعد الاعتراف بالذنب والندم عليه :

خوف بنى إسرائيل من الخسران وطلب إقالة العثرة :

قال تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف] .

(١) تفسير الرازى : ٢ / ١٤٠ .

(٢) تفسير المنار : ١ / ٢٨٤ .

وهذا كلام من اعترف بعظيم ما أقدم عليه وندم على ما صدر منه ورغب إلى ربه في إقالة عثرته ، ثم صدقوا على أنفسهم كونهم من الخاسرين إن لم يغفر الله لهم^(١) .

إنها خصيصة « الإنسان » التي تصله بربه ، وتفتح له الأبواب إليه . . الاعتراف ، والندم ، والاستغفار ، والشعور بالضعف ، والاستعانة به ، وطلب رحمته ، مع اليقين بأنه لا حول له ولا قوة إلا بعون الله ورحمته . . وإلا كان من الخاسرين .^(٢) .

خوف آدم وحواء من الخسران وطلب إقالة العثرة:

قال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف] .

فحينئذ من الله عليهما بالتوبة وقبولها، فاعترفا بالذنب، وسألا من الله مغفرته فقالا أي: قد فعلنا الذنب، الذي نهيتنا عنه، وأضررنا أنفسنا باقتراف الذنب، وقد فعلنا سبب الخسار إن لم تغفر لنا، بمحو أثر الذنب وعقوبته، وترحمنا بقبول التوبة والمعافة من أمثال هذه الخطايا.

فغفر الله لهما ذلك: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ هُمَا سَوْءَ تُوهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٣٠﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه] .

هذا وإبليس مستمر على طغيانه غير مقلع عن عصيانه فمن أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع - إذا صدرت منه الذنوب - اجتباه ربه وهداه.

(١) تفسير الرازي: ٧ / ٢٥٣ .

(٢) في ظلال القرآن: ٣ / ٢٩٦ .

الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم ١٢٥

ومن أشبه إبليس - إذا صدر منه الذنب لا يزال يزداد من المعاصي - فإنه لا يزداد من الله إلا بعداً^(١)، فكان آدم بعد التوبة أحسن منه قبلها، ورجع كيد العدو عليه، وبطل مكره، فتمت النعمة عليه وعلى ذريته، ووجب عليهم القيام بها والاعتراف، وأن يكونوا على حذر من هذا العدو المرابط الملازم لهم، ليلاً ونهاراً^(٢).

خوف نوح عليه السلام من الخسران وطلبه إقالة العثرة :

قال نوح: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود] ، فكان اعتذار نوح بمثابة توبة كاملة تتضمن عنصرى حقيقة التوبة وهما :

الأول- في المستقبل : وهو العزم على الترك ، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ .

والثاني- في الماضي : وهو الندم على ما مضى ، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود] ^(٣).

وهنا يثار تساؤل: هل يصيب المسلم الخسران ؟

إن الإنسان لا ينفك عن خسر ، لأن الخسر هو تضييع رأس المال ، ورأس ماله هو عمره ، وهو قلما ينفك عن تضييع عمره ، وذلك لأن كل ساعة تمر بالإنسان؛ فإن كانت مصروفة إلى المعصية فلا شك في الخسران ، وإن كانت مشغولة بالمباحات فالخسران أيضاً حاصل ، لأنه كما ذهب لم يبق منه أثر ، مع أنه كان متمكناً من أن يعمل فيه عملاً يبقى أثره دائماً ، وإن كانت مشغولة

(١) تفسير السعدي : ٢٨٥ .

(٢) تفسير السعدي : ٥١٤ .

(٣) التفسير المنير : ١٢ / ٨٠ .

بالطاعات فلا طاعة إلا ويمكن الإتيان بها ، أو بغيرها على وجه أحسن من ذلك ، لأن مراتب الخضوع والخشوع لله غير متناهية ، فإن مراتب جلال الله وقهره غير متناهية ، وكلما كان علم الإنسان بها أكثر كان خوفه منه تعالى أكثر ، فكان تعظيمه عند الإتيان بالطاعات أتم وأكمل ، وترك الأعلى والاقتصار بالأدنى نوع خسران ، فثبت أن الإنسان لا ينفك البتة عن نوع خسران .

واعلم أن هذه الآية كالتنبيه على أن الأصل في الإنسان أن يكون في الخسران والحثية ، وتقريره أن سعادة الإنسان في حب الآخرة والإعراض عن الدنيا .

المبحث السادس

السنن الإلهية في خسارة الأمم والأفراد

المطلب الأول

عدم قبول الإيمان حال اليأس سنة الله مطردة في كل الأمم

قال تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٥] .

قوله تعالى: ﴿ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ أي: عاينوا وقوع العذاب بهم، قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين أي: وحدوا الله وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تقال العثرات، ولا تنفع المعذرة.

وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق: ﴿ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس] ، قال الله تبارك و تعالى: ﴿ ءَأَلْقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس] أي: فلم يقبل الله منه؛ لأنه قد استجاب لنبيه موسى دعاءه عليه حين قال: ﴿ وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨] .

وهكذا هاهنا قال: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ ﴾ [غافر] أي: هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب؛ ولهذا جاء في الحديث: "عن ابن عمر: عن النبي ﷺ قال إن الله يقبل

توبة العبد ما لم يغرغر^(١). أي: فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة، وعين الملك، فلا توبة حينئذ^(٢).

(١) سنن الترمذي: فضل التوبة والاستغفار، (٣٤٦٠) حديث حسن غريب .

(٢) تفسير ابن كثير: ٧/ ١٦٠ .

المطلب الثاني

الخسران سنة الله في عقاب المبطلين

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِّنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر].

قوله تعالى: ﴿أمر الله﴾ تعريض بأن ما سيظهره الله من الإذن لمحمد ﷺ هو آيات عقاب لمعانديه، فمنها:

١- آية الجوع سبع سنين حتى أكلوا الميتة .

٢- وآية السيف يوم بدر إذ استأصل صناديد المكذبين من أهل مكة .

٣- وآية السيف يوم حنين إذ استأصل صناديد أهل الطائف .

٤- وآية الأحزاب التي قال الله عنها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب]، ثم قال: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ وأنزل الذين ظنهم من أهل الكتب من صياصبيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقًا تقتلون وتأسرون فريقًا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضًا لم تطئوها وكان الله على كل شئ قديرًا﴾ [الأحزاب].

وفي الآية: نكتة بديعية وهي الإيحاء إلى أن المبطلين من قريش ستأتيهم الآية في مكان من الأرض، وهو مكان بدر وغيره من مواقع إعمال السيف فيهم

فكانت آيات محمد ﷺ حجة على معانديه أقوى من الآيات السبوية نحو الصواعق أو الريح ، وعن الآيات الأرضية نحو الغرق والخسف لأنها كانت مع مشاركتهم ومدخلتهم حتى يكون انغلابهم أقطع لحجتهم وأخزى لهم^(١).

فإذا حان الوقت المعين لعذابهم في الدنيا أو في الآخرة ، قضى بالعدل فيما بينهم ، فينجي الله بقضائه الحق عباده المرسلين المحقين والذين آمنوا معهم ، ويهلك الكافرين الذين يتبعون الباطل ويعملون به.

فما عليك يا محمد إلا الصبر ، تأسيا بالأنبياء قبلك ، وإذا جاء أمر الله بالفصل بينك وبين قومك ، قضى بينكم بالحق ، فنصرت ، وخسر المبطلون من ملأ قريش الذين يصدون عن دعوتك^(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُ بِمَخْسَرِ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الجنات] فيوم يجمع الخلائق لموقف القيامة يحصل الخسار على المبطلين الذين أتوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وكانت أعمالهم باطلة لأنها متعلقة بالباطل فبطلت في يوم القيامة، اليوم الذي تستبين به الحقائق، واضمحل عنهم وفاتهم الثواب وحصلوا على أليم العقاب^(٣).

فوائد من الآية :

الأمر بالصبر للنبي تسلية له ، وإعلامه بأن الله سينتقم له من قومه المكذبين لرسالته ، إما في حياته ، أو في الآخرة ، وأمة النبي ﷺ مأمورة مثله بالصبر.

(١) التحرير والتنوير : ٤٨٨ / ١٢ .

(٢) التفسير المنير : ١٦٩ / ٢٤ .

(٣) تفسير السعدي : ٧٧٨ .

المطلب الثالث

الخسران سنة الله في عقاب القرى العاتية

قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بِنَهَا عَذَابًا نُكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝ ﴾ [الطلاق] .

يقول تعالى : متوعدا لمن خالف أمره، وكذب رسله، وسلك غير ما شرعه، ومخبرا عما حل بالأمم السالفة بسبب ذلك، فقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾ أي: تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله، ﴿ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بِنَهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴾ أي: منكرا فظيعا. ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾، أي: غب مخالفتها، وندموا حيث لا ينفعهم الندم، ﴿ وَكَانَ عِقَبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ أي: في الدار الآخرة، مع ما عجل لهم في الدنيا^(١)، من الجوع والقحط والسيوف والخسف والمسوخ وسائر المصائب، وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا^(٢).

قال سيد قطب - رحمه الله - : فأخذ الله لمن يعتو عن أمره ولا يسلم لرسله هو سنة متكررة، ونقف لحظة أمام هذا التحذير، فنرى أن الله أخذ القرى واحدة بعد واحدة كلما عتت عن أمر ربها ورسله . . ونجد أن هذا التحذير يساق هنا بمناسبة الطلاق وأحكامه، فيرتبط الطلاق وحكمه بهذه السنة الكلية، ويوحى هذا الارتباط أن أمر الطلاق ليس أمر أسر أو أزواج، إنما هو

(١) تفسير ابن كثير: ٨/ ١٥٥ .

(٢) تفسير القرطبي: ١٨/ ١٧٣ .

أمر الأمة المسلمة كلها ، فهى المسؤولة عن هذا الأمر ، وهى المسؤولة فيه عن شريعة الله ، ومخالفتها عن أمر الله فيه أو مخالفتها عن أمر الله فى غيره من أحكام هذا النظام ، أو هذا المنهج الإلهى المتكامل للحياة هى عتو عن أمر الله ، لا يؤاخذ به الأفراد الذين يرتكبونه ، إنما تؤاخذ به القرية أو الأمة التى تقع فيها المخالفة ، والتى تنحرف فى تنظيم حياتها عن نهج الله وأمره ، فقد جاء هذا الدين ليطاع ، ولينفذ كله ، وليهيمن على الحياة كلها ، فمن عتا عن أمر الله فيه ولو كان هذا فى أحوال الأفراد الشخصية فقد تعرض لما تعرضت له القرى من سنة الله التى لا تتخلف أبداً .

وتلك القرى ذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرًا . . ذاقته فى هذه الأرض قبل يوم الحساب الأخير ، ولقد ذاقت هذا الوبال قرى وأمم وشعوب عتت عن منهج الله فى الأرض ، ونحن نشهد وأسلافنا شهدوا هذا الوبال . ذاقته فسادا وانحلالا ، وفقرا وقحطا ، وظلما وجورا ، وحياة مفزعة لا أمن فيها ولا سلام ، ولا طمأنينة فيها ولا استقرار ، وفى كل يوم نرى مصداق هذا النذير .

إن هذا الدين منهج نظام جماعى جاء لينشئ جماعة مسلمة ذات نظام خاص ، وجاء ليصرف حياة هذه الجماعة كلها ، ومن ثم فالجماعة كلها مسؤولة عنه ، مسؤولة عن أحكامه ، ولن تخالف عن هذه الأحكام حتى يحق عليها هذا النذير الذى حق على القرى التى عتت عن أمر ربها ورسله ^(١) .

خسارة الأمم :

خسارة الأمم: هى إضاعة استقلالها ، وسلطان أمة أخرى عليها تستذلها ،

الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم ١٣٣
وجملة ذلك أن العقوبة أثر طبيعي لازم للعمل ، وأن ذنوب الأمم لا بد من العقاب عليها في الدنيا قبل الآخرة.

أن العقاب الإلهي للأفراد وللأمم نوعان :

(أحدهما) : العقاب بما توعد تعالى به على مخالفة رسله ومعاندتهم ، وهو من قبيل عقاب الحكام لرعاياهم على مخالفة شرائع أمتهم وقوانينها ونظمها .

(وثانيهما) : العقاب الذي هو أثر طبيعي للجرائم ، وهو من قبيل ما يعاقب به المريض على مخالفة أمر طبيه في معالجته له من الحمية والاقْتِصَار على كذا من الغذاء ، والتزام كذا من الدواء^(١).

فائدة :

في الآية : ذكر الله المسلمين بما حل بأقوام من عقاب عظيم على قلة اكترائهم بأمر الله ورسله لئلا يسلكوا سبيل التهاون بإقامة الشريعة ، فيلقى بهم ذلك في مهواة الضلال .

obeikandi.com

المطلب الرابع

سنة الله في المتماثلين

أولا : الأمم السابقة

قال تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [فصلت] .

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الاحقاف] .

إن تلك الأمم الذين حق عليهم عذابنا من الجن والإنس، كانوا مغبونين يبيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه^(١)، ودخلوا في زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة^(٢).

وأية خسارة أكبر من خسارة الإيمان واليقين في الدنيا، ثم خسارة الرضوان والنعيم في الآخرة، ثم العذاب الذي يحق على الجاحدين المنحرفين؟

و « المقصود » أن الله أخبر أن سنته لن تبدل ولن تتحول، وسنته عادته التي يسوى فيها بين الشيء وبين نظيره الماضي، وهذا يقتضى أنه سبحانه يحكم في الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة.

وهو سبحانه وتعالى يجمع ويسوى بين الأمور المتماثلة فيحكم في الشيء

(١) تفسير الطبرى : ٢١ / ٤٥٩ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٧ / ٢٨٤ .

خلقا وأمرًا بحكم مثله لا يفرق بين متماثلين ولا يسوى بين شئيين غير متماثلين؛ بل إن كانا مختلفين متضادين لم يسو بينهما^(١).

والآية دليل : على تكليف الثقلين وتعلق الأمر والنهي بهم ، وكذلك تعلق

الثواب والعقاب بهم .

ثانيا : الكفار والمنافقون :

وقال تعالى : ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [التوبة] .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد: لهؤلاء المنافقين الذين

قالوا: (إننا كنا نخوض ونلعب): أبا لله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون؟ (كالذين من قبلكم)، من الأمم الذين فعلوا فعلكم، فأهلكهم الله، وعجل لهم في الدنيا الخزي، مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال في الآخرة، واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذي حل بهم، فإنهم كانوا أشد منكم قوة وبطشا، وأكثر منكم أموالا وأولادا، فتمتعوا بنصيبيهم وحظهم من دنياهم ودينهم، ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضا من نصيبهم في الآخرة، وقد سلكتهم، أيها المنافقون، سبيلهم في الاستمتاع بخلاقتهم، كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم، الذين أهلكتهم بخلافهم أمرى، كما فعل الذين من قبلكم بنصيبيهم من دنياهم ودينهم، وخضتم في الكذب والباطل على الله، وخضتم أنتم أيضا، أيها المنافقون، كخوض تلك الأمم قبلكم^(٢)، فأنتم وهم

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ١٤٥ .

(٢) تفسير الطبري: ١٤ / ٣٤١ .

سواء ، فيوشك أن يحيق بكم ما حاق بهم، وفيه تعريض بأن الذين شابهوهم في أحوالهم أحرىء بأن يحل بهم ما حل بأولئك^(١).

وهذه الطبيعة الفاسقة المنحرفة الضالة ، ليست جديدة ، ففي تاريخ البشرية لها نظائر وأمثال ، ولقد حوى تاريخ البشرية من قبل هؤلاء نماذج كثيرة من هذا الطراز ، ولقد لاقى السابقون مصائر تليق بفسوقهم عن الفطرة المستقيمة والطريق القويمة ، بعدما استمتعوا بنصيبهم المقدر لهم في هذه الأرض ، وكانوا أشد قوة وأكثر أموالا وأولادا ، فلم يغن عنهم من ذلك كله شئ .

والقرآن يذكر القوم بما كان من أسلافهم ، ويبصرهم بأنهم يسلكون طريقهم ، ويحذرهم أن يلاقوا مصيرهم ، لعلمهم بهتدون^(٢).

وأما المؤمنون فهم وإن استمتعوا بنصيبهم وما خولوا من الدنيا، فإنه على وجه الاستعانة به على طاعة الله، وأما علومهم فهي علوم الرسل، وهي الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل^(٣).

فائدة :

والمراد من الآية :

- أن سنة الله في عباده واحدة لا ظلم فيها ولا محاباة ، فلا بد أن يحل بالمجرمين من العذاب ما حل بأمثالهم من أقوام الرسل إن لم يتوبوا.

(١) التحرير والتنوير : ٦ / ٣٣٣ .

(٢) في ظلال القرآن : ٤ / ٤٧ .

(٣) تفسير السعدي : ٣٤٣ .

- علق سبحانه حبوط الأعمال والخسران باتباع الشهوات الذي هو الاستمتاع بالخلق، واتباع الشبهات الذي هو الخوض بالباطل.

المطلب الخامس

الشرك محبط لجميع الأعمال سنة إلهية

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر] .

في نبوة جميع الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأعمال، فبالشرك تحبط الأعمال، ويستحق العقاب والنكال^(١).

وفي تقدير فرض وقوع الإشراف من الرسول والذين من قبله مع تحقق عصمتهم التنبيه على عظم أمر التوحيد وخطر الإشراف، ليعلم الناس أن أعلى الدرجات في الفضل لو فرض أن يأتي عليها الإشراف لما أبقى منها أثرا ولدحضها دحضا^(٢)، والتحذير هنا ينبه سواهم من أقوامهم إلى تفرد ذات الله سبحانه في مقام العبادة، وتوحد البشر في مقام العبودية، بما فيهم الأنبياء والمرسلون^(٣).

(١) تفسير السعدي : ٧٢٩ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٢ / ٣٧٩ .

(٣) في ظلال القرآن : ٦ / ٢٤١ .

obeikandi.com

المطلب السادس

استغراب الأمم بعث الله الرسل بشرا سنة إلهية

جرت عادة جميع الأمم باستغرابهم بعث الله رسلا من البشر، كقوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] ، وقوله: ﴿أَنْتُمْ مِنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧] ، وقوله: ﴿أَبَشْرًا مِثَّا وَحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ وَسُعْرٍ﴾ [القمر: ٢٤] ، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرٌ مِثْلُ مَا كُنَّا﴾ [التغابن: ٦] ، وقوله: ﴿وَلَيْنِ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمُ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠] .

إن تبعثموه وجعلتموه لكم رئيسا، وهو مثلكم إنكم لمسلوبو العقل، نادمون على ما فعلتم، وهذا من العجب، فإن الخسارة والندامة حقيقة لمن لم يتابعه ولم ينقل له، والجهل والسفه العظيم لمن تكبر عن الانقياد لبشر، خصه الله بوحيه، وفضله برسالته^(١).

فجعلوا اتباع الرسول خسرانا، ولم يجعلوا عبادة غير الله خسرانا.

فالاغراض المكرور في الأمم السابقة هو الاعتراض على بشرية الرسول، وهو الاعتراض الناشئ من انقطاع الصلة بين قلوب هؤلاء الكبراء المترفين، وبين النفخة العلوية التي تصل الإنسان بخالقه الكريم.

والترف يفسد الفطرة، ويغلظ المشاعر، ويسد المنافذ، ويفقد القلوب تلك الحساسية المرهفة التي تتلقى وتتأثر وتستجيب، ومن هنا يحارب الإسلام الترف؛ ويقيم نظمه الاجتماعية على أساس لا يسمح للمترفين بالوجود في الجماعة المسلمة، لأنهم كالعفن يفسد ما حوله، حتى لينخر فيه السوس،

(١) تفسير السعدي: ٥٥١.

ويسبح فيه الدود.

ثم يزيد المترفون هنا إنكار البعث بعد الموت والسبلي؛ ويعجبون من هذا الرسول الذي ينبئهم بهذا الأمر الغريب^(١).

المبحث السابع

نماذج من الخاسرين

المطلب الأول

قابيل بن آدم

قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

[المائدة].

أي: فحسنت وسولت له نفسه، وشجعته على قتل أخيه فقتله، أي: بعد هذه الموعظة وهذا الزجر.

عن ابن عباس - وعن مرة، عن عبد الله، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فطلبه ليقتله، فراغ الغلام منه في رؤوس الجبال، فاتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنماً له، وهو نائم فرفع صخرة، فشدخ بها رأسه فمات، فتركه بالعراء. رواه ابن جرير^(١).

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة] قال ابن عباس: خسر دنياه وآخرته، أما الدنيا فهو أنه أسخط والديه وبقي مذموماً إلى يوم القيامة، وأما الآخرة فهو العقاب العظيم^(٢).

هذه القصة تقدم نموذجاً لطبيعة الشر والعدوان؛ ونموذجاً كذلك من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له، كما تقدم نموذجاً لطبيعة الخير والسماحة؛

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ١٩

(٢) تفسير الرازي: ٦/ ٧٧

ونموذجاً كذلك من الطيبة والوداعة ، وتقفهما وجها لوجه ، كل منهما يتصرف وفق طبيعته . وترسم الجريمة المنكرة التى يرتكبها الشر ، والعدوان الصارخ الذى يثير الضمير؛ ويثير الشعور بالحاجة إلى شريعة نافذة بالقصاص العادل ، تكف النموذج الشرير المعتدى عن الاعتداء؛ وتخوفه وتردعه بالتخويف عن الإقدام على الجريمة؛ فإذا ارتكبها - على الرغم من ذلك - وحد الجزء العادل، المكافئ للفعلة المنكرة ، كما تصرن النموذج الطيب الخير ، تحفظ حرمة دمه . فمثل هذه النفوس يجب أن تعيش ، وأن تصان ، وأن تآمن؛ فى ظل شريعة عادلة رادعة .

والنموذج الشرير : خسر نفسه فأوردها موارد الهلاك ، وخسر أخاه ففقد الناصر والرفيق ، وخسر دنياه فما تهناً للقاتل حياة ، وخسر آخرته فبئس بإثمه الأول وإثمه الأخير^(١) .

العبرة فى قصة ابنى آدم أن الحسد كان سبب أول جريمة قتل فى البشر ، وأنه هو أس المفاسد والمعائب والرذائل فى المجتمع ، فالأمة المتحاسدة متمزقة متعادية متباغضة ، لا تجتمع على خير ، ولا تلتقى على فضيلة ، ولا تتعاون على بر وصلاح وتقدم ، مما يؤدي إلى الضعف والذل والهوان وعبودية أفرادها لمن سواهم^(٢) .

(١) فى ظلال القرآن : ٢ / ٣٥١ .

(٢) التفسير المنير : ٦ / ١٥٧ .

المطلب الثاني

قوم إبراهيم

قال تعالى: ﴿وَأَزَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء].

يقول تعالى ذكره: وأرادوا بإبراهيم كيدا ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ يعني الهالكين^(١).

أي: المغلوبين الأسفلين؛ لأنهم أرادوا بنبي الله كيدا، فكأدهم الله ونجاه من النار، فغلبوا هنالك.

وقال عطية العوفي: لما ألقى إبراهيم في النار، جاء ملكهم لينظر إليه فطارت شرارة فوقعت على إبهامه، فأحرقته مثل الصوفة^(٢)، ورددنا مكرهم عليهم بتسليطنا أضعف خلقنا، قال ابن عباس: سلط الله عليهم أضعف خلقه البعوض، فما برح نمرود حتى رأى عظام أصحابه وخيله تلوح، أكلت لحومهم وشربت دماءهم، ووقعت واحدة في منخره فلم تنزل تأكل إلى أن وصلت دماغه، وكان أكرم الناس عليه الذي يضرب رأسه بمرزبة من حديد، فأقام بهذا نحواً من أربعمئة سنة^(٣).

العبرة من الآيات:

هذه الآيات عبرة لمن اعتبر، إنها تمثل موقف المجاهد الصابر في سبيل دعوته إلى التوحيد والحق والفضيلة، وموقف المعادي الجاهل المناصر للباطل

(١) تفسير الطبري: ١٨ / ٤٦٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥ / ٣٥٣.

(٣) تفسير القرطبي: ١١ / ٣٠٥.

لقد دبر قوم إبراهيم له طريقا للخلاص منه ، وأرادوا إحراقه وتعذيبه بأشد أهوال العذاب ، ومعاقبته بالنار لأنها أشد العقوبات ، وجمعوا الحطب وأوقدوا النار ، واشتعلت واشتدت ، ثم قيدوا إبراهيم ووضعوه في المنجنيق مغلولا ، وهذا من أشد وأعتى ما يفعله البشر ، ولكن أين الله ؟ ! لقد كانت النتيجة مروعة مذهلة مدعاة للعجب والاستغراب ، وفوق حدود التصورات البشرية ، فسلخ الله تعالى من النار خاصية الإحراق ، ونجا إبراهيم وخرج من النار كأنه يخرج من حمام أمام الجموع الغفيرة المشاهدة ، ولم تحرق النار إلا وثاقه في أول ملامستها له ، وتلك معجزة تدعو إلى الإيمان بحق ، وتستدعى التأمل في تدبير البشر ومكرهم ، وفي تدبير الله الأعظم الذي يبذل كل تدبير ، ويحبط كل مسعى شرير ، فنجاه الله من النار ، وجعلهم الأخسرين المغلوبين الأسفلين لأنهم أرادوا به التحريق ، فخاب مرادهم^(١).

المطلب الثالث

قوم شعيب

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف] .

يقول تعالى ذكره: لم يكن الذين اتبعوا شعيبا الخاسرين ، بل الذين كذبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين؛ لأنه أخبر عنهم جل ثناؤه: أن الذين كذبوا شعيبا قالوا للذين أرادوا اتباعه: ﴿ لَئِن أَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾ [الأعراف] ، فكذبهم الله بما أحل بهم من عاجل نكاله، ثم قال لنبيه محمد ﷺ : ما خسر تباع شعيب، بل كان الذين كذبوا شعيبا لما جاءت عقوبة الله ، هم الخاسرين ، دون الذين صدقوا وآمنوا به^(١).

وعذا بهم : هو أن اضمحل لهم وانقطع دابرهم كان جزاء لهم على تكذيبهم شعيبا .

ومعنى : (كأن لم يغنوا فيها) تشبيه حالة استيصالهم وعفاء آثارهم بحال من لم تسبق لهم حياة^(٢).

"إنها ملامح المعركة التي تتكرر ولا تتغير . . إن الطواغيت يتوجهون أولا إلى الداعية ليكف عن الدعوة ، فإذا استعصم بإيمانه وثقته بربه ، واستمسك بأمانة التبليغ وتبعته ، ولم يرهبه التخويف بالذى يملكه الطغاة من الوسائل . .

(١) تفسير الطبرى : ١٢ / ٥٧٠ .

(٢) التحرير والتنوير : ٥ / ٣٨٥ .

تحولوا إلى الذين اتبعوه يفتنونهم عن دينهم بالوعيد والتهديد ، ثم بالبطش والعذاب . . إنهم لا يملكون حجة على باطلهم ، ولكن يملكون أدوات البطش والإرهاب؛ ولا يستطيعون إقناع القلوب بجاهليتهم - وبخاصة تلك التي عرفت الحق فما عادت تستخف بالباطل - ولكنهم يستطيعون البطش بالمصرين على الإيمان ، الذي أخلصوا الدينونة لله فأخلصوا له السلطان .

ولكنه من سنة الله الجارية أنه عندما يتمحض الحق والباطل ، ويقفان وجها لوجه في مفاصلة كاملة تجرى سنة الله التي لا تتخلف . .

ففى ومضة ها نحن أولاء نراهم فى دارهم جاثمين . لا حياة ولا حراك . كأن لم يعمرؤا هذه الدار ، وكأن لم يكن لهم فيها آثار .

ويطوى صفحتهم مشبعة بالتبكيث والإهمال ، والمفارقة والانفصال ، من رسولهم الذى كان أخاهم ، ثم افترق طريقه عن طريقهم ، فافترق مصيره عن مصيرهم ، حتى لم يعد يأسى على مصيرهم الأليم ، وعلى ضيعتهم فى الغابرين^(١) .

﴿ وَقَالَ أَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِي ﴾ [الأعراف : ٩٠] محذرين عن اتباع شعيب ، هذا ما سولت لهم أنفسهم أن الخسارة والشقاء فى اتباع الرشد والهدى ، ولم يدروا أن الخسارة كل الخسارة فى لزوم ما هم عليه من الضلال والإضلال ، وقد علموا ذلك حين وقع بهم النكال .

(فأخذتهم الرجفة) أي : الزلزلة الشديدة (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) أي : صرعى مبتلين هامدين .

قال تعالى ناعيا حالهم ﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْتَوْا فِيهَا ﴾ أي : كأنهم ما

أقاموا في ديارهم، وكانهم ما تمتعوا في عرصاتهما، ولا تفيئوا في ظلالها، ولا غنوا في مسارح أنهارها، ولا أكلوا من ثمار أشجارها، حين فاجأهم العذاب، فنقلهم من مورد اللهو واللعب واللذات، إلى مستقر الحزن والشقاء والعقاب والدركات ولهذا قال: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف] أي: الخسار محصور فيهم، لأنهم خسروا دينهم وأنفسهم وأهلهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين^(١).

"والآية بيان مستأنف من قبل الله عز وجل ناقض لقول الملائم قوم شعيب لقومهم: لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون وقولهم قبله: لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا، كأن سائلا يسأل عنهم باعتبار كل من الحاليين: كيف انتهى الأمر فيها؟ وكيف كان عاقبة أهلها؟ فأجيب عن الأول بقوله: الذين كذبوا شعيبا وهددوه وأنذروه الإخراج من قريتهم قد هلكوا، وهلكت قريتهم فحرموها كأن لم يقيموا، ولم يعيشوا فيها مطلقا أو في ذلك العيش الرغيد، والأمد المديد فمتى انقضى الشيء صار كأنه لم يكن.

وأجيب عن الثاني بقوله: الذين كذبوا شعيبا، وزعموا أن من يتبعه يكون خاسرا، وأكدوا زعمهم بأقوى المؤكدات، كانوا هم الخاسرين لما يعتزون به من تقاليد ملتهم، ومن مالهم ووطنهم، ولما كانوا موعودين به من سعادة الدنيا والآخرة لو آمنوا، دون الذين اتبعوه فإنهم كانوا هم الفائزين المفلحين، فالجملة تفيد حصر الخسار في المكذبين له بالنص، وتقتضي نفيه عن المتبعين له بالأولى، ومناسبة الجزاء للذنب يجعل الحرص على التمتع بالوطن والاستبداد فيه على أهل الحق سببا للحرمان الأبدي منه، وجعل الحرص على

الربح بأكل أموال الناس بالباطل سببا للخسران بالحرمان منه ومن غيره^(١).

وفي الآية دلالة واضحة على أن العاقبة للمتقين ، والربح الحقيقي لمن يأكل الحلال ، ويترفع عن الحرام ، وأن الدمار والهلاك والإفلاس للكافرين الذين ينغمسون في الحرام ، ويأكلون أموال الناس بالباطل.

المبحث الثامن

من صور نعيم المؤمنين يوم القيامة

في يوم القيامة وما فيه من عذاب أليم للظالمين ، وما فيه من نعيم مقيم للمؤمنين؛ ينطق الله ﷻ الذين آمنوا وكانهم هم سادة الموقف؛ فينطقون ويقررون ، قوله تعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِيرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الشورى] .

فهذا قول المؤمنين يوم القيامة؛ إذ كانوا يومئذ مطمئنين من الأحوال، شاكرين ما سبق من إيمانهم في الدنيا، عارفين بربح تجارتهم، ومقابلين بالضد حالة الذين كانوا يسخرون بهم في الدنيا؛ إذ كانوا سببا في خسارتهم يوم القيامة.

والظاهر : أن المؤمنين يقولون هذا بمسمع من الظالمين؛ فيزيد الظالمين تلهيا لندامتهم ومهانتهم وخزيهم .

فهذا الخبر مستعمل في إظهار المسرة والبهجة بالسلامة مما لحق الظالمين ، أى قالوه تحدثا بالنعمة واغتباطا بالسلامة يقوله كل أحد منهم أو يقوله بعضهم لبعض^(١) .

اللهم لا تحرمنا هذا النعيم

obeikandi.com

الخاتمة

الحمد لله الذي أعاننى على الانتهاء من هذا البحث ، وأسأله القبول الحسن .

من النتائج التى توصلت إليها فى البحث :

- ١- أن المؤمنين والمجرمين فى ميدان تنافس ، والفائز فى النهاية هم المؤمنون فى الدنيا والآخرة ؛ إذا أخذوا بأسباب الفوز .
- ٢- أن الله شوق المؤمنين للفوز ، وذلك بعرض صور نعيم الفائزين فى الجنة .
- ٣- من صور الفوز التى يجب على المؤمنين فهمها هى « ثباتهم على الدين حتى ملاقة رب العالمين » ، « وعدم التأثر بما يثار فى الإعلام من صور الفوز التى لا تتفق مع المفهوم القرآنى للفوز » .
- ٤- أن المنافقين يتباطئون ويبطؤون غيرهم وقت الجهاد والشدة ، ويتسارعون وقت توزيع الغنائم ، وهذا مفهومهم للفوز العظيم .
- ٥- أن الكفر والنفاق من أسباب الخسران فى الدنيا والآخرة .
- ٦- أن الخسران المبين هو خسران النفس والأهل يوم القيامة .
- ٧- أن خسران الأمم هو انقيادها لأعدائها ، وتحكم الأعداء فيها ، وتوجيه حياتهم فى جميع الشئون بما يوافق قيم وأخلاق الأعداء .
- ٨- أن وظيفة الرسل والمصلحين هو دعوة الناس إلى اجتناب أسباب الخسران فى الدنيا والآخرة .
- ٩- أن الله سن فى هلاك الأمم والجماعات والأفراد بسبب خسران الإيمان .

١٠- من أسباب النجاة من الخسران الإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وفضل الله ومغفرته ورحمته .

١١- من نعم الله على المؤمنين يوم القيامة قولهم : «إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم يوم القيامة»، فتزيدهم غبطة وسرورا وجورا، وتزيد المجرمين، غيظا وندامة وحسرة .

١٢- أن القرآن الكريم عرض نماذج من الخاسرين أهلكتهم الله، وفي هذا تسلية للمؤمنين وطمأنينة لهم أن الله منجيهم، ومهلك المجرمين .

وأوصى بالآتى :

- ١- تناول الباحثين الأبحاث التى تتعلق بالواقع المعاصر .
- ٢- انتشار العلماء وسط الناس لتوضيح المفاهيم والقيم القرآنية التى تتعلق بالواقع المعاصر، وعدم تركهم للإعلام يشكك عقولهم .
- ٣- تعاون العلماء والمربين والإعلاميين فى سبيل تربية الأمة على القيم والمفاهيم القرآنية.
- ٤- قيام العلماء والمربين والإعلاميين والأمراء بتربية الأمة على استلهاهم حل مشاكلها من خلال كتاب الله .
- ٥- عمل موسوعة علمية مجمعة للتفسير الموضوعى للقرآن الكريم .
- ٦- عمل موسوعة علمية للسنن الإلهية فى حياة الأمم والجماعات والأفراد.

فهرس المراجع والمصادر

أولاً: القرآن الكريم .

ثانياً: المراجع والمصادر :

- ١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : الشيخ محمد الأمين الشنقيطى ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين : محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبى عبد الله ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجليل - بيروت ، ١٩٧٣م .
- ٣- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون .
- ٤- تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم : أبى السعود محمد بن محمد العمادى (ت : ٩٥١هـ) ، دار إحياء التراث ، بيروت .
- ٥- تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان ، دار الفكر - بيروت ، لبنان ، ط : الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٦- تفسير السعدى المسمى : تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدى (ت : ١٣٧٦هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١هـ .
- ٧- تفسير الطبرى ، المسمى : جامع البيان في تأويل القرآن ؛ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط : الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٨- تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى (ت :

١٥٦ الفوز والخسران في ضوء القرآن الكريم
٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٩- التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر
الرازي الشافعي (ت: ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ،
الطبعة الأولى.

١٠- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه
التأويل: الزمخشري؛ تحقيق وتعليق محمد مرسى عامر؛ مراجعة شعبان محمد
إسماعيل، دار المصحف: شركة مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد، ط: الثانية،
١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

١١- تفسير الماوردي: المسمى (النكت والعيون)، أبو الحسن بن محمد
الماوردي، راجعه وعلق عليه: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب
العلمية؛ ١٤١٢ - ١٩٩٢م.

١٢- تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، ط: الثانية، بيروت -
لبنان.

١٣- تفسير النسفي: المسمى «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، الإمام
أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.

١٤- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت:
٦٧١)، دار الحديث، القاهرة، ط ٢، ١٤١٦هـ.

١٥- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء): محمد بن
أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٦- سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى، مصطفى الحلبي،
تحقيق: أحمد شاکر، ط: الثانية ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

- ١٧- صحيح البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، دار الكتب الحديثة ، عيسى الحلبي ، "بدون تاريخ".
- ١٨- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١)، دار إحياء التراث، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ١٩- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : محمد بن أبي بكر أيوب الزرععي أبو عبد الله ، تحقيق : زكريا على يوسف ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٠- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية الدراية فى التفسير: محمد بن عيسى بن محمد الشوكانى (ت: ١٢٥٠هـ)، مصطفى البابى الحلبي، ط ٢، ١٣٨٣هـ.
- ٢١- فى ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢هـ.
- ٢٢- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.
- ٢٣- مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، جمع : عبد الرحمن بن قاسم ، ط : الأولى ، السعودية .
- ٢٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٣٩٢هـ.
- ٢٥- المسند: الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى ، المكتب الإسلامى ، بيروت - لبنان ، ط : الرابعة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٢٦- مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق عدنان داوودى، دار القلم- دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢٧- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناجي ، المكتبة العلمية بيروت - لبنان .

٢٨- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس : ماجد عرسان الكيلاني ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الإمارات العربية المتحدة ، ط : الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .